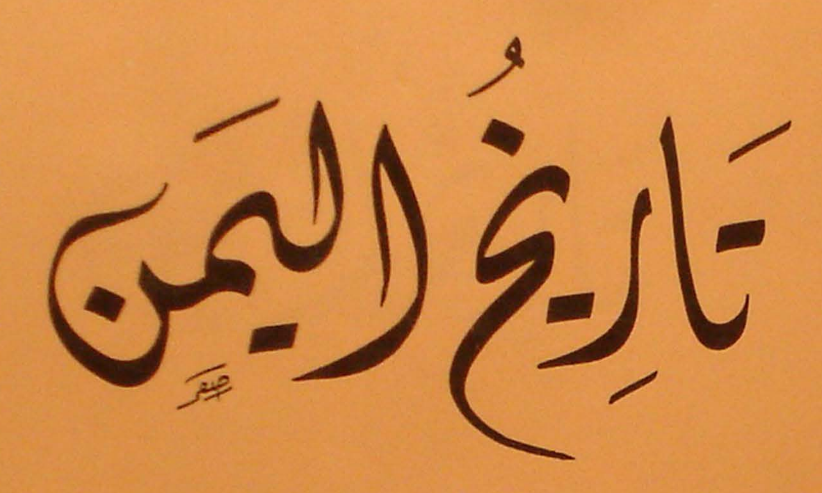


تاريخ اليمن

دراسة وتقديم وعرض وتحقيق

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

دار الجيل
بيروت

كتب تاريخ



دراسة وتقديم وعرض وتحقيق

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

مقدمة وتعريف

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

من الثابت تاريخياً أن تاريخ اليمن في العصر النبوي والراشدي لم يلق عناية من الدارسين والباحثين والمؤرخين من أهل الغرب وذلك لتدخل هذه الفترة في تاريخ جزيرة العرب، مع العلم بأن النبي ﷺ اهتم بها اهتماماً خاصاً بأن أرسل إليها كبار الصحابة والفقهاء العلماء لتفقه الناس، وكذلك الخلفاء الراشدين اعتنوا بها فلا ننسى معاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب وموسى الأشعري وغيرهم وفي العصر الأموي لم يكن لها دور يذكر.

ولكي يطمئن الخليفة المأمون من ناحية اليمن البعيد الذي يتخذه العلويون مجالًا لدعواتهم وهم مطمئنون من أن تنالهم يد الدولة، اختار رجلًا من خيرة رجاله وأقدر ولاته محمد بن زياد من نسل زياد بن أبيه سنة ٢٠٤ هـ/ ٨١٩ م وأقامه والياً على اليمن وجعل معه رجلاً من بقايا بني أمية وهو سليمان من أولاد الخليفة الأحول الأموي هشام بن عبد الملك الذي اشتهر بالقدرة والدهاء حتى ضرب به المثل، وقد اتخذ محمد بن زياد مدينة زبيد قاعدة له، وتمكن هو وصاحبه بعد ذلك معاً من إقامة دولة سنية عباسية الولاء في اليمن.

وقد طال عمر هذه الدولة وتوارث رجالها الإمارة على مثال ما فعل بنو طاهر بن الحسين في طبرستان، ولكن الدولة الزيادية أخذت تتفكك بعد سنة

٢٥٠ هـ / ٨٦٤م، وكانت هذه آخر الدول السنية التي قامت في اليمن قبل سيادة دول الشيعة عليها، ولم تعد الدول السنية إلى اليمن إلا على أيدي الأيوبيين، وقد أطلعت هذه الدولة الزيادية رجلاً من خيرة رجال الدول الذين عرفتهم اليمن في تلك العصور وهو أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم ابتداء من سنة ٢٩١ هـ / ٣٠٣ هـ / ٩٠٣م - ٩١٥م وقد طال عمره حتى زاد على الثمانين وفي أيامه استطاع القرامطة بقيادة علي بن الفضل القرمطي الاستيلاء على زبيد، ولكن أبا الجيش عاد إلى ملكه واستمر ينشئ الطرق والمباني التي اشتهر بها. وقد ضعفت الدولة الزيادية بعد وفاة أبي الجيش إذ تولى أمرها ابن مولى من مواليه الأحباش يسمى الحسين بن سلامة وقد قضى على هذه الدولة الزيادية سعيد الأحول بن نجاح منشئ الدولة النجاحية في زبيد أيضاً، التي استمرت تحكم حتى سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩م عندها تمكن علي بن محمد الصليحي الشيعي المعروف بالداعي من القضاء عليها وإمامة الدولة الصليحية التي دخلت في حلف وتبعية الفاطميين في مصر ولكن القضاء التام على دولة آل نجاح لم يتم إلا سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩م.

وقد اتبع الخليفة الواثق سياسة حزم وعنف حيال القبائل العربية التي خلعت طاعة العباسيين في وسط الجزيرة فأرسل قائده بغا الكبير سنة ٢٣٣ هـ / ٨٤٧م فأنزل ضربة أليمة بقبائل بني سليم بن منصور التي عاثت فساداً في الحجاز عند موضع يسمى بطن السقي قلب الجزيرة ثم أقيم رجل من أهل عكاظ عاملاً على اليمامة وقلب الجزيرة وطريق الحج.

ومن أكبر الأعمال العمرانية في شبه الجزيرة خلال العصر العباسي الأول إعادة بناء الحرم المكي وتوسيعه أيام الخليفة المهدي وأعيد كذلك بناء الحرم النبوي، وفي أيام هارون الرشيد قامت زوجته السيدة زبيدة بإنشاء طريق الحج من العراق إلى مكة والمدينة إنشاء جديداً فحفرت الآبار وابتنت البرد ومنازل الحجيج وهذا هو العمل الجليل الذي يسمى بطريق زبيدة.

وبعد وفاة الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م أخذ أمر الدولة العباسية ينحدر من سيّئ إلى أسوأ وكثر الخارجون على الدولة في نواحي الجزيرة العربية ونذكر هنا أكبر أولئك الثوار الذين اثبتناهم هنا.

(١) قام الجعفريون الذين ينتسبون أنفسهم إلى التبابعة من ملوك حمير بإنشاء دولة في هضاب اليمن واتخذوا صنعاء مقراً لهم.

(٢) استقلت حضرموت بنفسها و تسلخت عن دولة الخلافة وعن اليمن وعمان وقام بأمرها.

(٣) وقام ثائر يسمى محمد الحسيني ينتسب نفسه إلى الحسين بن علي رضي الله عنه بحركة تمرد واسعة النطاق بين بني عبد القيس في البحرين والإحساء على شاطئ الخليج العربي.

(٤) قامت ثورة حسينية في مكة قادها إسماعيل بن يوسف الأخيضر مع أخيه محمد بن يوسف وإنشاء دولة في مكة لم تلبث أن نقلت قاعدتها إلى اليمامة ومدت حكمها إلى البحرين واستمرت تحكم في ذلك النطاق الواسع حتى قضى عليها القرامطة.

دول الشيعة وإمامات الخوارج في جزيرة العرب
٢٦٦ هـ - ٥٦٧ هـ / ٨٧٩م - ١١٧١ م

خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، زادت حركات العلويين والإسماعيليين نشاطاً في كل نواحي الدولة وجزيرة العرب خاصة واتخذوا من اليمن وعلى ساحل الخليج العربي مراكز لنشاطهم.

ففي اليمن: نشط دعاة الإسماعيلية وركزوا اهتمامهم في اليمن في صنعاء وزبيد سنة ٢٦٦ هـ/ ٨٧٩ - ٨٨٠ م لفترة قصيرة وقامت الحرب بين الزبيديين واليعفريين من ناحية، واليعفريين والاسماعيليين من ناحية أخرى، وظهر للإسماعيليين منافس جديد قوي عندما وصل إلى اليمن سنة

٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م أول كبار أئمة الزيدية وهو الهادي يحي حفيد القاسم الرسي الحسني المتوفى ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م وهو المشهور باسم الهادي إلى الحق.

بنو زياد (شيعة).

٢٠٣ هـ - ٣٩١ هـ / ٨١٨ م - ١٠٠٠ م في صنعاء وصعدة ونجران وبيجان وحلى وتهامة.

(٢) بنو الرسي (الزيديون) شيعة.

٢٨٠ هـ - ٢٨٤ هـ / ٨٩٣ م - ٨٩٧ م

ثم طغت على هذه الدولة دول أخرى وظلت هي في مكانها حتى ظهرت مرة أخرى من سنة (٥٩٣ هـ - ٦٩٧ هـ / ١١٩٦ م - ١٢٩٧ م) ومن هذا التاريخ أصبح اسمها الدولة الهاشمية وهي دولة أئمة صنعاء وخاصة من ابتداء ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م حتى سنة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م.

(٣) بنو يعفر

من سنة ٢٢٥ هـ - ٣٩٣ هـ / ٨٣٩ م - ١٠٠٢ م في صنعاء وجند.

(٤) الصليحيون الهمدانيون (شيعة).

من سنة ٤٣٩ هـ - ٥٣٢ هـ / ١٠٤٧ م - ١١٣٧ م.

(٥) دولة بني حاتم (الهمدانيين ومعهم بنو سليمان).

٤٩٢ هـ - ٥٦٩ هـ / ١٠٩٨ م - ١١٧٣ م. في صنعاء وبلاد همدان.

دول قامت في الوسط وتشمل مناطق بزبيد وتعز وما حولها

(١) دولة بني مهدي (الخوارج).

٥٥٣هـ - ٥٥٨هـ / ١١٥٨م - ١١٦٢م.

(٢) الزيديون (شيعة).

٩١٤هـ- ٩٦٥هـ / ١٥٠٦م -١٥٥٨م.

(٣) دولة بني نجاح الأحباش.

٤٠٣هـ- ٥٥٥هـ / ١٠١٢م - ١١٦٠م في زبيد والساحل.

(٤) بنو طاهر (شيعة).

٨٥٨هـ- / ١٤٥٤م - ١٤٢٦م في تعز وزبيد.

(٥) بنو زريع الهمدانيون: وهم آل بني كرم في عدن (شيعة).

من سنة ٤٦٧هـ- ٥٦٩هـ / ١٠٧٤م - ١١٧٣م في عدن.

دولة شملت كل اليمن

(١) دولة بني أيوب في اليمن.

٥٦٩هـ- ٦٢٦هـ / ١١٧٣م - ١٢٢٨م.

(٢) دولة بني رسول (سنيود).

من ٦٢٦هـ- ٨٥٨هـ / ١٢٢٨م - ١٤٥٤م.

(٣) دولة أئمة صنعاء (شيعة زيدية وآخرهم الإمام البدر).

..١٠هـ - ١٣٨٢هـ / ١٥٩١م - ١٩٦٢م.

هذه لمحة بسيطة عن تاريخ اليمن منذ العصر الإسلامي حتى العصر الحالي،

قال ياقوت الحموي: بالتحريك قال الشرقي: إنما سميت اليمن لتيامنهم اليها قال ابن عباس: تفرقت العرب فمن تيامن منهم سميت اليمن، ويقال إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمت بنو يمن إلى اليمن وهي أَيْمَنُ الأرض فسميت بذلك. قلت: قولهم تيامن الناس فسموا اليمن فيه نظراً لأن الكعبة مربعة فلا يمين لها ولا يسار فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يسار آخرين وكذلك الجهات الأربع إلا أن يريد بذلك من يستقبل الركن اليماني فإنه أجلها فإذا يصح والله أعلم.

قال الأصمعي: اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان ونجران ثم يلتوى على بحر العرب إلى عدن إلى الشحر حتى يجتاز عمان فينقطع من بينونة وبينونة: بين عمان والبحرين وليست بينونة من اليمن، وقيل حد اليمن من وراء تثليث وما سامتها إلى صنعاء وما قاربها إلى حضرموت والشحر وعمان إلى عدن أبين وما يلي ذلك من التهائم والنجود، واليمن تجمع ذلك كله، والنسبة إليهم يمني ويمان مخففة والألف: عوض من ياء النسبة فلا تجتمعان. وقال سيبويه: وبعضهم يقول يماني بتشديد الياء.

قال أمية بن خلف الهذلي:

[illegible]ـــا يظـــــلّ يشـــــدّ كيراً   وينْفُـــخُ دائبـــاً لَهَـــبَ الشُّـــواظ

[illegible]قوم يمانية ويمانون مثل ثمانية وثمانون وامرأة يمانية أيضاً، وأيمن الرجل ويمن ويامَن إذا أتى وكذلك إذا أخذ في مسيره يمينا.

قال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليمني: صفة يمن الخضراء سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها والبحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب فراجعاً إلى المغرب، يفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عمان ويبرين إلى حد ما بين اليمن واليمامة فإلى حدود المجيرة

وتثليث وكتبة وجرش ومنحدراً في السراة إلى شغف عَنْز وشغف الجبل: أعلاه إلى تهامة إلى أم جحدم إلى البحر إلى جبل يقال له كرمل بالقرب من حضة وذلك حد ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة، قلت أنا: هذا الخط من البحر الهندي إلى البحر اليمني عرضاً في البرية من الشرق إلى جهة الغرب، قال: وأما إحاطة البحر باليمن من ناحية دما. قلت أنا: دما من أوائل بلاد عمان من جهة الشمال قال: فَطْنوي فالجمجة فرأس الفرتك فأطراف جبال البجمد فما سقط منها وانقاد إلى ناحية الشعر، فالشعر فغب الخيس فغب العبب بطن من مهق فغب القمر بطن من مهرة، بلفظ قمر السماء، فغب الغفار بطن من مهرة فالخيرج فالأشقار وفي المنتصف من هذا الساحل شرقياً، عدن وعمان ويسوف وقد ذكرت في مواضعها، ثم ينعطف البحر على اليمن مغرباً وشمالاً من عدن فيمر بساحل لحج وابين وكثيب برامس وهو رباط وبسواحل بني مجيد من المندب فساحل العميرة، فالعارة فإلى غلافقة ساحل زبيد فكمران فالعطية فالجردة إلى منفهق جابر، وهو رأس عزيز كثير الرياح حديدها، إلى الشرجة ساحل بلد حكم فباحة جازان إلى ساحل عثر فرأس، عثر وهو كثير الموج إلى ساحل حمضة، فلهذا ما يحيط باليمن من البحر.

وقال أبو سنان اليماني: في اليمن ثلاثة وثلاثون منبراً قديمة وأربعون حديقة وأعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاة فوال على الجند ومخاليفها وهي أدناها.

وقال الأصمعي: أربعة أشياء قد ملأت الدنيا ولا تكون إلا باليمن: الورس والكندر والخطر والعصب. قال: وافتخر إبراهيم بن مخرمة يوماً بين يدي السفاح باليمن وكان خالد بن صفوان: وبعد فما منكم إلا دابغ جلد أو ناسج برد أو سائس قرد أو راكب عرد، دل عليكم هدهد وعرفتكم جرذ وملكتكم أم ولد فسكت وكأنما ألجمه.

قال: واجتمع زياد بن عبيد الله الحارثي خال السفاح بابن هبيرة الفزاري

فقال لزياد: فممن الرجل؟ فقال من اليمن فقال: أخبرني عنها فقال: أما جبالها فكروم وورس وسهولها بر وشعير وذرة، فتغير وجه ابن هبيرة وقال أليس أبو اليمن قرداً؟ قال إنما يكنى القرد بولده وهو أبو قيس فيوجب ذلك أن يكون أبا قيس عيلان. وكان ابن هبيرة قيسياً قال: فاصفر وجهه وعرق جبينه من عظم ما لقيه به، ولليمن أخبار ولبلادها أقاصيص ذكرت في مواضعها.

أما صاحب الكتاب وهو عمارة اليمني فقد أخذت ترجمته من الدكتور حسن سليمان الذي أثرى المكتبة العربية بأمهات الكتب.

هو أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي المذحجي اليمني الملقب نجم الدين الشافعي الفرضي. ولد سنة خمس عشرة وخمس مئة في مدينة مرطان من وادي السباع، وبلغ بها الحلم سنة تسع وعشرين وخمس مئة، ورحل إلى زبيد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، حيث تلقى العلم في مدارسها أربع سنوات على كثير من العلماء وبخاصة ابن الأبار الذي أخذ عنه المذهب الشافعي. واشتغل بعد ذلك بالتجارة. فسافر إلى عدن والتقى فيها بالأديب الفاضل أبو بكر بن محمد العيذي فأكرمه، وأمره بمدح الداعي محمد بن سبا. وهو إذ ذاك صاحب الدعوة الفاطمية في تلك البلاد. فاعتذر بحجة أنه لا يجيد الشعر. فعمل الأديب قصيدة على لسان عمارة هنأ بها الداعي بإعراسه على بنت الشيخ بلال، وتولى العيذي إلقاءها أمام الداعي، فنال بذلك جائزة، وأخرى من بلال، وأعطاها إلى عمارة وقال له: « إنك قد وسمت عند القوم بسمة شاعر، فطالع كتب الأدب ولا تحمد على الفقه، فكان ذلك سبب تعلمه له، واشتغاله بالشعر وصحبة الملوك من ذلك الوقت، ولم يزل مصاحباً لملوك آل زريع خاصة، حتى ليوشك ألا يشتهر عنه قول الشعر في غيرهم من ملوك اليمن.

وكان عمارة يعرف عند أهل بلده بالحذفي، وعند أهل مصر باليمني،

وعند أهل اليمن وأهل عدن والجبال بالفقيه، وعند أهل زبيد بالفرضي.

وفي سنة تسع وأربعين وخمسمائة حج عمارة، فسيره صاحب مكة قاسم بن هاشم بن فليته رسولاً إلى الخليفة الفائز الفاطمي في مصر، فدخلها في شهر ربيع أول سنة خمسين وخمس مئة، ومدح الخليفة بقصيدة ميمية فوصله، ومدح ابن رزيك فأحسن صلته، وأقام بمصر حتى شوال سنة ٥٥٠ في أرغد عيش وأعز جانب، وعاد إلى مكة، ومنها إلى زبيد فبلغها صفر سنة ٥٥١هـ. ثم حج مرة أخرى في هذه السنة، فأوفده صاحب مكة ثانية إلى مصر، فبقي بها ولم يفارقها بعد ذلك.

ويقول ابن خلكان عنه: وكان شافعي المذهب، شديد التعصب للسنة، أديباً ماهراً مجيداً، محدثاً ممتعاً، واحتفظ عمارة إلى آخر لحظة من حياته بمذهب أهل السنة، ولكن لم يحل هذا دون أن تتوطد عرى الصداقة والمودة بينه وبين الحكومة في مصر، التي كان يدين خلفاؤها بالمذهب الفاطمي.

وكان الوفاء سجية هذا الشاعر، وذلك لأن الفاطميين قد أسروه بإحسانهم، فنظم في مدحهم الكثير من الشعر، فأحسن الملك الصالح وبنوه وأهله إليه كل الإحسان، وصحبوه مع اختلاف العقيدة لحسن صحبته. وله في الصالح وولده مدائح كثيرة.

وكانت بينه وبين الكامل بن شاور صحبة متأكدة قبل وزارة أبيه، فلما وزر استحال عليه، فكتب إليه قصيدة منها:

إذا لم يساعدك الزمان فحارب وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما تموت الأفاعي من سموم العقارب

وظل على ولائه للفاطميين حتى بعد زوال دولتهم. فلما ملك السلطان صلاح الدين الأيوبي الديار المصرية مدحه عمارة كما مدح جماعة من أهل بيته، ويتضمن ديوانه جميع هذه القصائد.

وفي أثناء إقامته في مصر الزمه القاضي الفاضل أبي علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي البيساني ـ وكان رئيس ديوان الإنشاء في عهد الدولة الفاطمية ـ بتأليف كتاب عن أخبار جزيرة اليمن، هو المعروف باسم: «مفيد عمارة»، فبدأ تأليفه سنة ٥٦٣. وهذا الكتاب على صغره يعتبر عند المؤرخين من المراجع الأصلية في أخبار اليمن، فنقل عنه كبار مؤرخي المسلمين: كابن الأثير، وابن خلكان، وأبي الفداء وابن الديبع ويحيى بن الحسين، وإدريس عماد الدين، وغيرهم، هذا الكتاب هو ما نحن بصدد تحقيقه ونشره.

ولعمارة اليمني ديوان شعر مشهور تضمن الكثير من الأشعار في مدح خلفاء الفاطميين، وجماعة من خاصة دولتهم: كبني رزيك، وشاور، كما امتدح آل زريع وجماعة من دولتهم كالعيذي وبلال، وبعض آل أبي عقامة.

وله كتاب «النكت العصرية في أخبار الديار المصرية»، ومن حسن الحظ أن عني المستشرق الفرنسي ديرنبورج بنشر هذا الكتاب في مدينة شالون بفرنسا سنة ١٨٩٧. وله كتاب آخر يسمى «أخبار الشعراء»، كذلك له كتاب «نموذج ملوك اليمن».

ولما كان عمارة متعلقا بحب الفاطميين فظهر من حبه هذا في فلتات لسانه، وفي نظمه ونثره ما دعا إلى التحرز منه وإبعاده. وإذا كان قد مدح بني أيوب فإنه تكلف ذلك، وصرح، وعرض فيه بما في ضميره. وقد قال في كتابه النكت: «ذكر الله أيامهم بحمد لا يكل نشاطه، ولا يطوي بساطه، فقد وجدت فقدهم وهنت بعدهم».

وقد عرض عمارة حياته للخطر بسبب هذا الحب الدافق، والوفاء التام للفاطميين، فأوغر بذلك حفيظة الأيوبيين، وكان كلما هم صلاح الدين بعقوبته دافع عنه القاضي الفاضل. ولما حانت منيته تجمعت عدة أسباب أدت إلى إدانته، منها ما ذكره ابن خلكان، من أنه انفق مع جماعة من كبار أهل

مصر عددهم ثمانية على قلب نظام الحكم، فلما أحس بهم صلاح الدين قبض عليهم في يوم ٢٦ من شعبان سنة ٥٦٩ ، وشنقهم بالقاهرة يوم السبت ثاني شهر رمضان من نفس السنة. قال صاحب الخريدة: إنه صلب من جلة الجماعة الذين نسب اليهم التدبير عليه (أي على صلاح الدين) ومكاتبة الفرنج، واستدعائهم لمصر ليجلسوا ولد العاضد، ولم ينكر المتآمرون المؤامرة. هذا فضلا عن اتهامه بأنه هو الذي قال:

قد كان أول هذا الدين من رجل سعى إلى أن دعوه سيد الأمم

فأفتى فقهاء مصر بقتله، وحرضوا السلطان صلاح الدين على المثلة به، وبأمثاله مع أنه من الجائز أن يكون هذا البيت مدسوساً عليه.

هذا وقد اعتمدت على تحقيق هذا الكتاب على النسخة التي حققها الدكتور حسن سليمان محمود مع وضع بعض التعليقات.

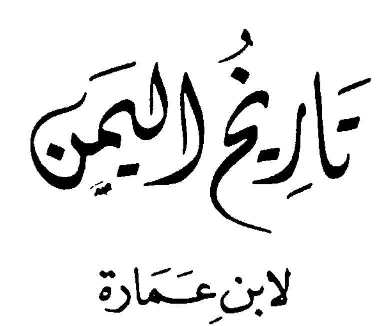
أما الكتاب الثاني «تاريخ اليمن» فقد قمت بفصله من كتاب العبر من ديوان المبتدأ والخبر، وهو كتاب في غاية الإهمية فلهذا أضفنا له عدة تعليقات، وابن خلدون غني عن التعريف فلهذا لا نقدم له عرضاً ومقدمة.

وأسال الله عز وجل أن ينال هذا العمل رضاء الله والمسلمين والله ولي التوفيق.

القاهرة

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الدكتور محمد زينهم محمد عزب



تاريخ اليمن

لابن عمارة

الحمد لله أفضل محمود، وأحق معبود، وصلى الله على محمد النبي، أطهر منسل، وأكرم مرسل، وعلى آله أعلام العلوم، وأطوار الحلوم، وسلم. وبعد: فإني في سنة ثلاث وستين وخمس مئة، حضرت مجلس المولى القاضي الأجل الفاضل، أبي علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي البيساني[1]، حرس الله علوه، وأدام سموه، وهو يومئذ صاحب ديوان الإنشاء، عن الخلافة العاضدية، فحداني، بل وهداني أمره إلى وضع كتاب، أجمع فيه، ما علق بحفظي من أخبار جزيرة اليمن، سهلها ووعرها، براً وبحراً، ومدد ممالكها، وأبعاد مسالكها، وحروب أهلها ووقائعهم ومآثرهم وصنائعهم، وأخبار قضاتها ودعاتها وأخبار أعيانها وأمرائها، ومن روى له عنه، أو رأيته من شعرائها، فامتثلت من ذلك ما ندب إليه، وعولت عند التصفح عليه، وما هو ممن استحي لقاه خشياً وإجلالا، بميسور خاطر، ولو لم يشجعني تغاضيه عاضني محاذرتي من خجلي المتجاسر.

حدثني الشيخ الفقيه نزار بن عبد الملك المكي، والفقيه أحمد بن الأشعري، وما منهما إلا عارف بأيام الناس، وأنسابهم وأشعارهم. وقرأت في كتاب مفيد

---

(١) له ترجمة وافية في شذرات الذهب لابن العماد، الوافي بالوفيات للصفدي، المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا.

لأخبار زبيد[1]، تأليف الملك المكين أبي الطامي جياش بن نجاح، نصير الدين، مالك زبيد ما قالوا: لما كان سنة تسع وتسعين ومئة، أتى إلى المأمون بن الرشيد بقوم من ولد عبيد الله بن زياد فانتسب أحدهم واسمه محمد بن فلان بن عبيد الله بن زياد، وانتسب رجل منهم إلى سليمان بن هشام بن عبد الملك، ومن ولد هذا الرجل، الوزير خلف بن الطاهر وزير الأمير جياش بن نجاح. فقال المأمون لهذا الأموي: إن عبد الله بن علي بن العباس ضرب عنق سليمان بن هشام، وأعناق ولديه في يوم واحد. فقال الأموي: أنا من ولد الأصغر، من ولد سليمان بن هشام، منا قوم بالبصرة في أفناء الناس، وانتسب له رجل إلى بني تغلب واسمه محمد هارون، فبكى المأمون وقال: أنّى لي بمحمد ابن هارون يعني أخاه الأمين: ثم قال: أما الأمويان فيقتلان. وأما التغلبي فيعفى عنه، رعاية لاسمه واسم أبيه. فقال ابن زياد: ما أكذب الناسَ يا أمير المؤمنين، إنهم يزعمون أنك حليم كثير العفو، متورع عن سفك الدماء بغير حق، فإن كنت تقتلنا على ذنوبنا، فإنا لم نخرج عن الطاعة، ولم نفارق في بيعتك رأي الجماعة، وإن كنت تقتلنا عن جنايات بني أمية فيكم، فالله تعالى يقول: وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى فاستحسن المأمون كلامه، وعفا عنهم جميعاً، وكانوا أكثر من مئة رجل، وأضافهم إلى أبي العباس الفضل ابن سهل ذي الرياستين، وقيل إلى أخيه الحسن. فلما بويع لابراهيم بن المهدي ببغداد، في المحرم سنة اثنتين ومائتين، وافق ذلك ورود كتاب عامل اليمن بخروج الأشاعر وعكّ عن الطاعة، فأثنى ابن سهل على [الزيادي وكان اسمه] محمد بن زياد، وعلى المرواني والتغلبي، عند المأمون، وأنهم من أعيان الرجال، وأفراد الكفاة، وأشار بتسييرهم إلى اليمن، [فسير] ابن زياد أميراً

(١) بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت. اسم وادٍ به مدينة يقال لها الحصيب ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به، وهي مدينة مسهودة، وهي مدينة مشهورة باليمن أحدثت في أيام المأمون وبازائها ساحل غلافقة وساحل المندب.
انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/١٣١.

وابن هشام وزيراً، والتغلبي حاكماً ومفتيا. فمن ولد التغلبي محمد بن هارون، قضاة اليمن: بنو أبي عقامة ولم يزل الحكم فيهم متوارثاً، حتى أزالهم علي بن مهدي حين أزال الحبشة فخرجوا في الجيش الذي جهزه المأمون إلى بغداد، إلى محاربة إبراهيم بن المهدي. وحج ابن زياد ومن معه في سنة ثلاث ومئتين، وسار إلى اليمن، وفتح تهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب، واختط زبيد في شعبان سنة أربع ومائتين.

وفي هذا التاريخ مات الفقيه الإمام محمد بن إدريس الشافعي بمصر، رحمة الله عليه وحج من اليمن جعفر مولى بن زياد، بمال وهدايا سنة خمس ومائتين، ووصل إلى العراق، وصادف المأمون بها وعاد جعفر في سنة ست إلى زبيد ومعه ألف فارس [فيها] من مسودة خراسان سبعمائة، فعظم ملك ابن زياد، وملك إقليم اليمن بأسره: الجبال والتهائم، وتقلد جعفر هذا الجبال واختط بها مدينة يقال لها: المذيخرة[1]، بمخلاف ريمة الأشاعر ذات أنهار وأشجار واسعة. والبلاد التي كانت لجعفر تسمى إلى اليوم مخلاف جعفر والمخلاف عند أهل اليمن عبارة عن قطر واسع. وكان جعفر هذا أحد الكفاة الدهاة، وبه تمت دولة ابن زياد، لأنهم يقولون ابن زياد وجعفر، وهو الذي اشترط على عرب تهامة ألّا يركبوا الخيل. وملك ابن زياد: حضرموت، وديار كندة، والشحر[2]، ومرباطا، وأبين، ولحجا، وعدن، والتهايم إلى حَلي[3]. وبين حَلي ومكة

---

(١) كأنه تصغير المذخرة بالخاء معجمة والراء وهو اسم قلعة حصينة في رأس جبل صبر وفيها عين في رأس الجبل يصير منها نهر يسقي عدة قرى باليمن وهي قريبة من عدن يسكنها آل ذي مناخ. قال عمارة: المذيخرة من أعمال صنعاء وهو جبل بلغني أن أعلاه نحو عشرين فرسخًا فيه المزارع والمياه ونبت الورس وفي شفيره الزعفران ولا يسلك إلا من طريق واحد.

(٢) بكسر أوله وسكون ثانيه وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، هو بين عدن وعمان قد نسب إليه بعض الرواة.

(٣) بالفتح ثم السكون بوزن ظبي، حَلْيُ مدينة باليمن على ساحل البحر بينها وبين السرين يوم واحد، وبينها وبين مكة ثمانية أيام.

ـحرسها الله ـ ثمانية أيام. وملك من الجبال الجند وأعمالها، ومخلاف المعافر، ومخلاف جعفر، وصنعاء، وصعدة ونجران، وبيحان، وواصل ابن زياد الخطبة لبني العباس، وحمل الأموال والهدايا السنية هو وأولاده من بعده، وهم إبراهيم ابن محمد، هذا الذي هو أولهم، ثم ملك بعده ابنه زياد بن ابراهيم فلم تطل مدته، ثم ملك بعده أبو اسحاق بن ابراهيم وطالت مدته. فلما أسن، وبلغ الثمانين من الملك، تشعب عليه من دولته بعضها. فممن أظهر له بعض ما يكره: ملك صنعاء وهو من أولاد التبابعة من حمير، واسمه أسعد بن أبي يعفر، ولكنه كان يخطب لأبي الجيش بن زياد، ويضرب الدراهم على اسمه، ولم يكن ينفذ لأبي الجيش هدية ولا ميرة ولا ضريبة.

وكان ارتفاع أموال أسعد هذا لا يزيد على أربعمائة ألف [دينار] في السنة يصرف معظمها في سبيل البر لوافديه وقاصديه. وأما صاحب بيحان[1]، ونجران، وجرش[2] فهم أيضاً تحت طاعة ابن زياد. وأما صعدة فثار بها الشريف الحسني المعروف بالرسي ثم الزيدي. وما يليق ذكره في هذا الموضع، مع أنه ليس بجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر مرافقاً من صنعاء، وهو بلد في خط الاستواء، وهو من الاعتدال في الهواء بحيث لا يتحول الإنسان عن مكان واحد إلى مكان آخر طول عمره، شتاء ولا صيفاً، وتتقارب بها ساعات الشتاء والصيف. وبها بناء عظيم قد خرب، فهو تل عال يعرف بغمدان ولم تبن ملوك اليمن قصرًا مثله، ولا أرفع منه. وفي ملك أسعد بن أبي يعفر صاحب صنعاء جبل المذيخرة، وبلغني أن أعلاه نحو عشرين فرسخاً، فيه المزارع والمياه، وفيه نبت الورس وهو في معنى الزعفران، ولا يسلك إلا من طريق واحد.

---

(١) بالحاء مهملة مخلاف باليمن معروف منه كان الفقيه البيجاني المقري نزيل مكة، وكان صالحاً ديناً مقبولاً، مات قرابة سنة ٥٩٥ هـ أو فيها.

(٢) بالضم ثم الفتح وشين معجمة من مخاليف اليمن من جهة مكة، قيل إن جُرَش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة.

انظر: معجم البلدان ٢/١٢٦ – ١٢٧.

وقد كان علي بن الفضل الداعي المعروف بشيخ لاعة[1]، ولاعة هذه إلى جانبها قرية لطيفة لها عدن لاعة وليست عدن أبين الساحلية، وأنا دخلت عدن لاعة[1] هذه وهي أول موضع ظهرت فيه الدعوة العلوية باليمن، ومنها قام منصور اليمن، ومنها علي بن الفضل الداعي، وممن وصل إليها من دعاة الدولة أبو عبد الله الشيعي صاحب الدعوة العلوية بالمغرب، وفيها قرأ علي بن الصليحي في صباه، وهي دار دعوة باليمن.

وكان هذا علي بن الفضل الداعي، غلب جبل المذيخرة، وخطب فيه الدعوة العلوية سنة أربع وتسعين ومائتين، ثم استرجعه منه أصحاب أسعد بن أبي يعفر، ثم عاد إلى أصحاب الداعي علي بن الفضل ثانية. وفي ملك أسعد ابن أبي يعفر جبل شبام، وهو منيع جداً، وفي قرى ومزارع، وجامع كبير، وهو عمل مستقل بنفسه، ويرتفع منه العقيق والجزع، وهي حجارة معساة، فإذا عملت ظهرت جوهرها.

وممن امتنع من عمال أبي الجيش بن زياد، سليمان بن طرف، صاحب عثر وهو من ملوك تهامة، وعمله مسيرة سبعة أيام، في عرض يومين. وهو من الشرجة إلى حلي، ومبلغ ارتفاعه في السنة خمسمائة ألف دينار وكان مع امتناعه من الوصول إلى ابن زياد يخطب له، ويضرب السكة على اسمه ويحمل إليه مبلغاً من المال كل سنة، وهدايا لا أعلم مبلغها. ويتلو لابن طرف من ملوك تهامة في الخطبة والسكة لابن زياد، وعمل إتاوة مستقرة، الحرامي، صاحب حلي، [وهو][2] دون ابن طرف في المكنة. وأما الذي سلم لابن زياد من اليمن حين طعن في السن، فله من الشرجة إلى عدن، طولا عشرون مرحلة وله من غلافقة إلى صنعاء خمس مراحل.

---

(١) بالعين مهملة مدينة في جبل صبر من نواحي اليمن إلى جانبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعة، ولاعة موضع ظهرت فيه دعوة المصريين باليمن.

(٢) سقطت من المطبوع

ورأيت مبلغ ارتفاع ابن زياد، بعد تقاصرها في سنـة، ست وستين وثلاث مئة من الدنانير ألف ألف عثرية، خارجاً عن ضرائب على مراكب الهند من الأعواد المختلفة، والمسك والكافور والعنبر والصندل والصيني، وخارجاً عن ضرائب العنبر على السواحل بباب المندب، وعدن، وأبين، والشحر وغير ذلك، وخارجاً عن ضرائبه على معادن اللؤلؤ، وعن ضرائبه على صاحب مدينة دهلك. ومن بعضها ألف رأس رقيق. منها خمس مئة وصيفة حبشية ونوبية. وكانت ملوك الحبش من وراء البحر تهاديه وتستدعي مواصلته.

ومات أبو الجيش هذا سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، عن طفل اسمه عبد الله، وقيل زياد. وتولت كفالته أخته، هند بنت أبي الجيش، وعبد لأبي الجيش، أستاذ حبشي يدعى رشيد، وكان من عبيد رشيد هذا وصيف من أولاد النوبة يدعى رشيد، وكان من عبيد رشيد هذا وصيف من أولاد النوبة يدعى حسين بن سلامة، وهي أمه، وبها كان يعرف. ونشأ حسين بن سلامة هذا، حازماً عفيفاً. فلما مات مولاه رشيد، وزر لولد أبي الجيش ولأخته هند بنت الجيش، وكانت دولتهم قد تضعضعت أطرافها. وتغلبت ولاة الحصون على ما في أيديهم منها. فأقام القائد حسين بن سلامة، يحارب أهل الجبال حتى دانوا، ودان ابن طرف، والحرامي، واستوسعت له مملكة ابن زياد الأولى، واختط مدينة الكدراء على وادي سهام، واختط مدينة المعقر، على وادي زوال. وكان عادلا على الرعايا، كثير الصدقات، والصلات في الله تعالى، مقتدياً بسيرة عمر بن عبد العزيز في أكثر أحواله، وعمر في الملك ثلاثين سنة، ومات سنة اثنتين وأربعمائة.

ومن محاسن حسين بن سلامة، إنشاء الجوامع الكبار، والمنارات الطوال، من حضرموت إلى مكة حرسها الله تعالى. وطول المسافة التي بنى فيها ستون يوماً، وحفر الآبار الروية، والقلب العادية في المقافر المنقطعة، وبنى الأميال والفراسخ، والبرد على الطرقات. فمن ذلك ما رأيته عامراً ومهدوماً، ومنها ما رواه الناس لي رواية إجماع. فأوله شبام وتريم، مدينتا حضرموت. اتصلت

عمارة الجوامع منها إلى عدن وأبين ولحج، والمسافة عشرين مرحلة، في كل مرحلة جامع ومأذنة وبئر، فأما عدن ففيها جامع من عمارة عمر بن عبد العزيز، وجدده حسين بن سلامة، ثم تفرق الطريق من عدن إلى مكة: فطريق تصعد إلى الجبال، وطريق تسلك في تهامه، فأما طريق الجبال، ففيها جامع الجوة وهو كبير أدركته عامراً بعمارة حسين بن سلامة، ورأيت فيها جامع الجند، وهو جامع مثل جامع أحمد بن طولون بمصر، وكان مسجداً لطيفاً، أول من بناه معاذ بن جبل، صاحب رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن.

وأهل الجند وما حوله من القرى، يروون في فضل هذا المسجد أخباراً من جهة الآحاد [منها] أن زيارته في أول جمعة من رجب تعدل عمرة أو قالوا حجة. ولم يزل أهل تلك الآفاق يزورونه في كل سنة حتى كثر ذلك، فصار موسماً من مواسم الحج، ومنسكا للعامة. وإذا كان لبعضهم على بعض حق قال أمهلني حتى ينقضي الحج، وما يعنون إلا زيارة الجند.

ثم ذي أشرف وبها مسجد مكتوب على أحجاره فوق بابه: مما أمر به عمر ابن عبد العزيز بن مروان، ثم مدينة إب ثم النقيل، ثم ذمار [ثم ما بين ذمار وصنعاء مسافة خمسة أيام، في كل مرحلة منها بناء] ثم جامع صنعاء، وهو عظيم، ثم من صنعاء إلى صعدة، عشرة أيام [في كل مرحلة من ذلك جامع][1]. ثم من صعدة إلى الطائف سبعة أيام، في كل مرحلة جامع، ومصانع للماء، ثم عقبة الطائف، وهي مسيرة يوم للطالع من مكة، ونصف يوم للهابط إلى مكة، عمرها حسين بن سلامة عمارة يمشي في عرضها ثلاثة أجمال بأحمالها.

هذه الطريق العليا. وأما طريق تهامة، فهي تفترق أيضاً طريقين، فواحدة ساحلية على البحر، وواحدة وهي الجادة السلطانية متوسطة منها إلى البحر والجبل وافتراقها من تهامة. وفي كل مرحلة من الطريقين الساحلية والوسطى جامع عظيم، فمن الساحلية والوسطى المخنق، وهي من عدن على ليلة، وبها

---

(١) إضافة من الكامل في التاريخ لابن الأثير.

بئر طولها ثمانون باعا، وأنا وردتها مراراً، وجامع مستهدم. ثم العارة ثم عثر، ثم السقيا: جامع وبئر، طولها أربعون باعا، ثم الباب: باب المندب، ثم المخا، ثم الشرجة، ثم المفجر، ثم القنديرٍ، ثم عثر، وهي مقر ملك قديم ثم الروية، ثم حمضة. ثم ذهبان ثم حلي، ثم السرين، ثم جدة، فهذه جوامع السواحل ما منها إلا ما رأيته عامراً، وإما خراباً.

وأما الوسطى فذات الخيف[1]، وموزع[2]، والجدرون وحيس[3]، وزبيد، وقشال، والضجاع[4]، بكسر الضاد، والقحمة[5]، الكدراء[6] وهي مقره، واختطها أيضاً، والجثة، وعرق النشم، والمهجم[7]، ومور[8]، والواديان، وجيزان، والساعد[9]، وتعشر[10]، واليمنى[11]، ورياح، والفحر، ثم تلتقي

---

(١) بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره فاء، والخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من مِنًى، وقال ابن جني أصل الخيف الاختلاف. قال القاضي عياض: خيف بني كنانة هو المحصب وهو بطحاء مكة.

(٢) بفتح الزاي وهو شاذ في القياس، موضع باليمن وهو المنزل السادس لحاج عدن ودونها ثريد، وقال ابن الحائك: فمن مدن تهائم اليمن مَوْزَعُ.

(٣) بالسين المهملة والحيس طعام يصطنعه العرب من التمر والأقط، وهو بلد وكورة من نواحي زبيد باليمن، بينها وبين زبيد نحو يوم للمجد وهو كورة واسعة.

(٤) بكسر أوله مدينة باليمن قرب زبيد.

(٥) بليدة قرب زبيد وهي قصبة وادي ذوال، بينها وبين زبيد يوم واحد من ناحية مكة، وهي للأشاعرة فيها خولان وهمدان.

(٦) بالمد تأنيث الأكدر وهو الماء المكدر لونه وقطاة كدراء ونطفة كدراء قريبة العهد بالسماء وهو اسم مدينة باليمن على ولدي سهام اختطفها حسين بن سلامة وهي أمة المتغلبين على اليمن في نحو سنة ٤٠٠

(٧) بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن وبين زبيد ثلاثة أيام ويقال لناحيتها خزار وأكثر أهلها رخولان من أعلاها وأسافلها وشمالها بعد السردد.

(٨) أحد مشارف اليمن الكبار وهو من رأس تهامة الأعظم ويتلوه في العظم وبعد المأتى زبيد وإليه يصب أكثر أودية اليمن.

(٩) من أرض اليمن لحكم بن سعد العشيرة وهي قرية.

(١٠) بالفتح موضع باليمامة.

(١١) بالفتح ثم السكون ونون وآخره مقصور منزل بين صعدة وعثّر من أرض اليمن.

طريق الجادة والساحلية، ويفترقان من السرين، وبينها وبين مكة خمسة أيام، فأول ما يلقى الحاج من عمارتة بين الرياضة، ثم سنجة الغراب، ثم الليث ثم يرد الناس وادي يلملم وهو ميقات أهل المدينة، وبه بئر من عمارته، ثم بئر أدام، وهي بئر روية، طولها عشر أبواع، وعرضها خمسة أو ستة أبواع، ثم يفترق الناس، فمن أراد مكة، ورد من عمرته ببراد، ثم البيضا، ثم القوين، ثم مكة. ومن أراد عرفات ورد من عمارته، بئر بوادي الرحمن، ثم نعمان، ثم عرفات وله مسجد على جبل الرحمة بعرفات، رحمة الله عليه.

وحدثني الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم الأبار، وعليه قرأت مذهب الشافعي، قال: حدثه والده أبو القاسم وحدثني بمثل ذلك عبد الرحمن بن علي العبسي، وحدثني المقرى، الحسين بن فلان بن حسين بن سلامة، وما من هؤلاء إلا ما ناهز عمره المائة. قالوا: كان الناس مزدحمين للصباح على حسين ابن سلامة، حتى تقدم إليه إنسان فقال له: إن رسول الله ﷺ، أمرني وبعثني إليك، لتدفع لي ألف دينار، قال حسين: لعل الشيطان تمثل لك. قال: بل الإمارة بيني وبينك: إنك مذ عشرين سنة، كل ليلة تصلي عليه مائة مرة. فبكى حسين بن سلامة وقال: إمارة والله صحيحة، لم يعلم بها إلا الله عز وجل، ثم دفع إليه ألف دينار.

وحدثني الفقيه أبو علي بن طليق، وكان من الصالحين ومن العلماء الراجحين، يسكن مدينة المعقر، قال: حدثني أبوه، وجماعة من أسلافه وهم أهل بيت علم وعفاف، قالوا: تظلم إنسان إلى الحسين بن سلامة بهذا الوادي، وهو سائر في مدينة زبيد إلى الكدراء، وزعم أنه سرقت له عيبة فيها ألف دينار، وقيل ألفا دينار، في وادي مور، وبعده من الوضع أيام، فأمر به حسين فجلس معه مع خواصه، وقام إلى الصلاة في جامع الكدراء، فأطاها، ثم نام في المحراب، فلم يشعر إلا والناس يقرعون إليه من أطراف الجامع إلى المحراب، قال والدي: وكنت من أقرب الناس إليه فسمعته يقول لرجل من قواده: تمضي مع هذا الرجل إلى القرية الفلانية على الساحل، فتأخذ له من

فلان بن فلان ماله، من غير أن تؤذيه، فإن رسول الله ﷺ، شفع إلى فيه، وأخبرني أنه ينتسب إليه، وهو ﷺ الذي عرفني صورة الحال.

وأخبار حسين ومحاسنه باليمن مجلدات بل مخلدات.

ثم انتقل الأمر بعد ذلك إلى طفل من آل زياد لا أعرف اسمه، وأظنه عبد الله، وكفلته عمة له، وعبد استاذ اسمه مرجان من عبيد الحسين بن سلامة، واستقرت الوزارة لمرجان، وكان له عبدان من عبيد الحبشة، فحلان، رباهما في الصغر وولاهما الأمور في الكبر. وأحدهما يسمى نفيساً، وهو الذي يتولى التدبير بالحضرة، والعبد الثاني يدعى نجاحاً وهو جد ملوك زبيد الذين أزالهم علي بن مهدي في سنة أربع وخمسين وخمس مئة. ونجاح هذا هو أبو سعيد الأحول قاتل السلطان علي بن محمد الصليحي، القائم باليمن، بالدعوة الفاطمية المستنصرية، وهو أيضاً الملك الفاضل العادل، أبي الطامي جياش. ولم يزل الملك في عقب جياش هذا إلى التاريخ المذكور. كان نجاح يتولى أعمال الكدراء والمهجم ومور والواديين. وهذه الأعمال الأربعة جل الأعمال الشمالية عن زبيد. ثم وقع التنافس بين نفيس ونجاح، عبدي مرجان على وزارة الحضرة. وكان نفيس عسوفاً مرهوباً. ونجاح رءوفاً بالناس، عادلا على الرعايا، محبوباً إليهم، إلا أن مولاهما مرجاناً كان يميل مع نفيس على مرجان. ونمى إلى نفيس أن عمة ابن زياد مولاه، تكاتب نجاحاً، وتميل إليه، فشكا نفيس ذلك من فعلها إلى مرجان فقبض مرجان عليها، وعلى ابن أخيها ابن زياد، وهو آخر القوم، ومنه زالت دولة بني زياد باليمن، وانتقلت إلى عبيد عبيدهم فيكون حكم دولة بني زياد باليمن مائتي سنة وخمس سنين، لأنهم اختطوا زبيد سنة أربع ومائتين وزالت عنهم سنة تسع وأربعمائة.

ثم إن مرجاناً لما قبض على موليبه عبد الله وعمته، دفعهما إلى نفيس، فبنى عليهما جداراً، وهما قائمان يناشدانه الله عز وجل، حتى ختمه عليهما. وكان بنو زياد لما اتصل بهم اختلال الدولة العباسية من قتل المتوكل، وخلع المستعين

تغلبوا على ارتفاع اليمن وركبوا بالمظلة وساسوا قلوب الرعايا ببقاء الخطبة لبني العباس فلما قتل نفيس، ابن مولاه: عبد الله وعمته، تملك وركب بالمظلة وضرب السكة باسمه.

وحين نمى إلى نجاح ما اعتمده نفيس في مواليه، دعا الأحمر والأسود وقصد نفيساً إلى زبيد، فجرت بينهما عدة وقائع منها: يوم رمع، ويوم فشال، وهما على نجاح، ومنها يوم العقدة، وهو على نفيس، ومنها يوم العرق، وفيه قتل نفيس على باب زبيد، وقتل معه خمسة آلاف بين الفريقين. وفتح نجاح زبيد في ذي القعدة سنة ثنتي عشرة واربع مئة. وقال نجاح لمرجان: ما فعل بمواليك وموالينا؟ قال: هم في ذلك الجوار. فأخرجهما نجاح، وصلى عليهما. وبنى لهما مشهداً وأعاد مرجاناً في موضعهما، فبنى عليه حياً، وعلى جثة نفيس، وركب نجاح بالمظلة، وضربت السكة باسمه. وكاتب أهل العراق، وبذل الطاعة. فنعت نجاح بالمؤيد نصير الدين، وفوض إليه تقليد القضاء لمن يراه، والنظر العام على الجزيرة اليمنية. ولم يزل نجاح مالكاً لتهامة، قاهراً لأكثر أهل الجبال. وخوطب وكوتب، بالملك، وبمولانا. ومن أولاده سعيد ابن نجاح، وجياش ومعارك والذخيرة، ومنصور.

فأما الجبال فتغلب ولاة حسين بن سلامة على الحصون فممن تغلب على عدن، وأبين، ولحج، والشحر، وحضرموت، بنو معن، وأظنهم من غير ولد معن بن زائدة الشيباني[1] وتغلب على السمدان، وهو أحصن من الدملوة وحصن صبر وحصن ذخر، وحصن التعكر، وهو ما هو، وعلى مخلاف الجند، ومخلاف عنه، ومخلاف المعافر، قوم من حمير يقال لهم: بنو الكرندي، وكانت لهم مكارم ومفاخر، وسلطنة قاهرة ودولة ظاهرة. وتغلب على حصن حب وهو نظير التعكر، وعلى حصن يقال له عزان، وبيت عز، وحصن الشعر، وهو عظيم وحصن نور، والنقيل والسحول وهو الموضوع الذي ينسج فيه

---

(١) له ترجمة وافية في خلاصة تذهيب الكمال للخزرجي.

الثياب السحولية، وكفن رسول الله ﷺ في ثوبين منها، وهذا الوادي لبني أصبح، قوم الفقيه مالك الأصبحي إمام دار الهجرة.

ومن الحصون أيضاً: حصن خدد والشوافي، وتغلب عليهما السلطان أبو عبد الله الحسين التبعي وولده، وهو الذي عمل الحيلة على قتل سعيد بن نجاح الأحول، قاتل السلطان، علي بن محمد الصليحي، وتغلب على مخلاف أحاظة ويقال وحاظة، ومقر عزها حصن ببيرس، ومن حصونها: دهوان، ويفوز، وشعر، والخضراء وغير ذلك، ومدينتها شاحط، وفي سلطانها يقول نزار ابن الفقيه زيد بن الحسين الأحاظي:

قالوا لنا السلطان في شاحط ... يأتي الزنا من موضع الغائط
قلت هل السلطان أعلاهما ... قالوا بل السلطان من هابط

وتغلب على حصن وحاظة وبلادها بنو وائل، وهم من ولد ذي الكلاع، ولهم رياسة متأثلة، وهم حمقى يرون أنهم أشرف ولد آدم على الإطلاق. ولقد أذكر أني خرجت من سوق الجبجب، وهو أكبر أسواقهم، في يوم صائف حتى إذا بعدت عن السوق لحقني فارسان يركضان، وقد سددا إلى أسنة الرمحين، فنزلت عن الدابة، وصعدت إلى الجبل. فلما انتهيا إلي قالا: إنا أختلفنا في أفضل ولد آدم، وقد رضينا بحكمك. وكان أحدهما قال: بنو وائل أفضل على الإطلاق. وقال الثاني: بل هم وقريش في الشرف. فقلت لهما: إن رسول الله ﷺ أفضل البشر، وبنو وائل أفضل من قريش. ومن سائر الخلق، تفاديا منهما. قال أحدهما: والله لو قلت غير هذا ما سلمت مني، ثم فارقاني.

ومن هؤلاء بنو وائل، السلطان أسعد بن وائل بن عيسى، صاحب الكرم العريض والثناء المستفيض. وممن تغلب على حصن أشيح، وهو مقر ملك الداعي سبأ بن أحمد الصليحي، وعلى حصن وصاب ومخاليفها، قوم من بكيل، ثم من همدان، وتغلب على صنعاء ومخاليفها قوم من همدان، وتغلب

بنو عبد الواحد على أعمال برع والعمد ولعسان، وتغلبت على حصن مسار أيضاً، وليس في اليمن ما يماثله، سوى التعكر والسمدان وحب، ومنه ثار الصليحي بالدعوة المستنصرية من حراز، وحراز هي الأعمال، وبها سمى أهلها وإلا فهم من همدان، وبهم ثار الداعي علي بن محمد الصليحي.

أخبار الداعي علي بن محمد الصليحي

وعنها يتفرع جل أخبار اليمن، وبها يتعلق بقية الكتاب من القضاة والدعاة. والكبراء والشعراء.

كان القاضي محمد بن علي، والد الداعي علي بن محمد الصليحي، سني المذهب وله طاعة في رجال حراز، وهم أربعون ألفاً، ولما انتقلت الدعوة إلى سليمان بن عبدالله الزواحي [نسبة إلى زواحى قرية من أعمال حراز] شرع في ملاطفة القاضي محمد بن علي، والد الداعي علي بن محمد الصليحي. فكان الزواحي يركب إليه، لأن محمداً كانت له رياسة، وسؤدد، وصلاح، وعلم، فلم يزل سليمان حتى استمال قلب علي بن محمد، وهو يومئذ دون البلوغ، ولاحت له فيه مخايل النجابة، وقيل كانت عند سليمان حلية الصليحي من كتاب الصور، وهو من ذخائر الأئمة عليهم السلام، فأوقفه منه على تنقل حاله، وشرف مآله، واستماله سرا من ابيه وقومه. ولم يلبث سليمان الزواحي حتى مات، وأوصى له بكتبه وعلومه، ولم يمت حتى قد رسخ [في ذهن علي من كلامه ما رسخ]، فعكف على الدرس، وكان ذكياً، فلم يبلغ الحلم حتى تضلع في معارفه التي بلغ بها، وبالجد السعيد غاية الأمل البعيد. فكان عالماً فقيهاً في مذهب الدولة، مستبصراً في علم التأويل.

أخباره أنه قام يحج دليلا للناس عن طريق السراة، والطائف عدة سنين لا

يحج بالناس غيره، وتقلبت به الأحوال في بادىء عمره، من خفض إلى رفع ومن ضر إلى نفع. فمن ذلك ما حدثني به الفقيه أبو الحسين علي بن سليمان، وكان شاعراً قد أحسن، ومن شعره قوله في عمر بن عدنان العكي:

كان ابن عدنان لي من جورها جارا إذا الليـالي أسـاءت غير عـالمة

ومنه ما حدثني به الزبرقاني بن الغويفر العكي عن فلات الشاعر وهو القائل يذم قومه في قصيدته:

جيعـاً على قطـع الخيـار أبيعهـا فمـن يشتري عكـا بفلس فـإنني

كلاهما وغيرهما من الجمهور حدثنا عن القاضي عمر بن المرجل، الحنفي نسباً ومذهباً، وكان من أعيان العلماء، قال: كان على باب زبيد من داخل السور دار لرجل من الحبشة، يقال له فرج السحرتي، وكان من أهل المعروف والصدقات الواسعة، وكان من نزل بمسجده أكرمه وآواه، ويتفكر ويدخل المسجد يتجسس أخبار الضيوف سراً، من وكلائه وخدمه، فخرج ذات ليلة فظفر بالمسجد برجل يقرأ القرآن فسأله عن العشاء، فأنشد قول المتنبي:

من علم الأسـود المخصي مكـرمـة أعمامـه الغـرم أم أخـواله الصيـد

فأخذه الحبشي في أعلى مكان في داره، وأكرم مثواه، واستخبره عن سبب قدومه إلى تهامة، قال الصليحي: إن لي عماً يقال له شهاب، وله ابنة يقال لها أسماء، قليلة النظر في الجمال، معدومة المثل، في الأدب والعقل، وخطبتها إليه، فاشتط على مهرها. وأمها تقول، لا تزوجها إلا لبعض ملوك همدان بصنعاء، أو ملوك بني الكرندي بمخلاف جعفر. وقد استاموا علي في المال، مبلغاً، لا قدرة لي عليه، وأنا متوجه إما إلى بني معن بعدن، وإما إلى بني الكرندي بالمعافر. قالوا: فدفع له القائد فرج السحرتي مالاً جزيلاً أضعاف ما أدى الصليحي، وجهز العروسين جميعاً أحسن جهاز يحتفل الملوك به لعقائلهم، وأعاده إلى عمه فتزوج بأسماء. وهي أم الملك المكرم، زوج الحرة الملكة السيدة

أروى بنت أحمد الصليحي. وكانت أسماء من الكرم والسؤدد، والجوائز السنية الجزيلة للشعراء، والصلات الواسعة في سبيل الله تعالى، وفي سبيل المروءة والخير، بحيث يمدح أولادها وإخوتها وبنو عمها بمفاخرها، وفيها يقول شاعر زوجها واسمه: عمرو بن يحيي الهيثمي[1] من قصيدة أولها:

حشمت بيضاء الأنامل حشما

ومنها:

وسمـــت في السماح سنـــة جـــود	لم تـدع مـن معـــالم البخـــل رسما
قلـت إذ عظمـوا لبلقيس عـرشـا	دست أسماء مـن ذرا المجـد أسمـى

ومن أخبار الداعي علي بن محمد الصليحي، ما حدثني أحمد بن حسين الأموي المعروف بابن السبخة، عن أبيه، عن جده قال: كنت أسكن في مدينة حيس، وبينها وبين زبيد ليلة، فلما ملك الصليحي زبيد، وقد ركب إلى مجلس القاضي، وأدى عنه شهادة، كان قد تحملها في صباه، ثم تحدث مع القاضي سراً، وافترقا. وأخبر القاضي بعد قيام السلطان علي بن محمد الصليحي أنه قال: إني نزلت إلى مدينة حيس، أستطلع خبر عبدي مرجان: نفيس ونجاح، فمر علي بعض من يعرفني، فتجردت عن ثيابي، ولبست ثياب سلاط يبيع السليط في معصرة من معاصر حيس. وتحملت هذه الشهادة يومئذ في منزل رجل يقال له: السبخة، ولما ملكت الأمر وقفت لي عجوز بخطي فعرفته، فلم يسعني إلا أداء شهادتي. وكان مثال ما كتبته بخطه ليذكره إن شاء الله تعالى.

ومن أخبار الصليحي في مبادىء أمره، ما حدثني به السلطان ناصر بن منصور الوائلي، عن جده عيسى بن يزيد، أن علياً بن محمد الصليحي، كان دليلاً على طريق السراة والطائف خمس عشرة سنة، وأن الناس في أول ظهـوره كانوا يقولون له: قد بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره، ويكون لك شأن ودولة، فيكره ذلك، وينكره على قائليه. مع كونه أمراً قد شاع في أقواله

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي.

بأفواه الناس [من] الخاصة والعامة.

ولما كان من سنة تسع وثلاثين وأربع مئة، ثار الصليحي في رأس مسار، وهو أعلى ذروة في جبال حراز. وكان معه يومئذ ستون رجلاً، قد حالفهم في مكة في موسم سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، على الموت [و] القيام بالدعوة، وما منهم إلا من هو من قومه وعشائره في منعة وعدد كثير. ولم يكن برأس الجبل بناء، بل كان قلة فائشة منيعة. فلما ملكها الصليحي لم ينتصف النهار الذي ملكها في ليله، إلا وقد أحاط به عشرون ألف ضارب سيف وحصروه وشتموه وحقوه وقالوا له: إما نزلت وإلا قتلناك، أنت ومن معك بالجوع. فقال لهم: إن لم أفعل ما فعلت إلا خوفاً علينا، وعليكم، فإن تركتموني أحرسه [لكم] وإلا نزلت إليكم، فانصرفوا عنه.

ولم تمض به أشهر، حتى بناه وحصنه، وأتقنه، وبقي الصليحي في مسار وأمره يستفحل شيئاً فشيئاً من سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، في نزق من أمره، كاتم لما يضمر من الدعوة، وكان [يخاف] نجاحاً صاحب تهامة، و[كان] يكافئه ويلاطفه ويستكين لأمره ولم يزل الصليحي يعمل [الحيلة] على نجاح، حتى قتله بالسّم، [على يد] جارية جميلة أهداها إليه. وكانت وفاة نجاح بالكدراء في عام اثنين وخمسين وأربعمائة.

وكتب الصليحي إلى الإمام المستنصر بالله يستأذنه في إظهار الدعوة. فعاد إليه الجواب بالإذن، فطوى البلاد طياً. وفتح الحصون والتهايم، ولم تخرج سنة خمس وخمسين وما بقي عليه من اليمن سهل ولا وعر، ولا بر ولا بحر، إلا فتحه. وذلك أمر لم يعهد مثله في جاهلية ولا إسلام، حتى قال يوماً وهو يخطب بالناس في جامع الجند، وفي مثل هذا اليوم نخطب على منبر عدن، إن شاء الله، ولم يكن ملكها بعد، فقال بعض من حضر مستهزئاً «سبوح قدوس»، فأمر الصليحي بالحوطة عليه. وخطب الصليحي في مثل ذلك اليوم على منبر عدن. فقال ذلك الإنسان وتعالى في القول: «سبوحان قدوسان»، وأخذ البيعة،

ودخل المذهب الطاهر.

ومن سنة خمس وخمسين استقر قرار الصليحي بصنعاء، فأخذ معه ملوك اليمن، التي أزال ملكها. فأسكنهم معه، وولى في الحصون غيرهم، واختط بصنعاء عدة قصور.

حدثني محمد بن بشارة من أهل صنعاء، سنة خمس وثلاثين وخمس مئة، وذكر أن عمره قد ناهز الثمانين فقال: لم أعقل بقصر الصليحي إلا مستهدماً، وجميع من بنى داراً بصنعاء بأنقاض قصور الصليحي، ومن تلك المدة إلى الآن وما فني طوبه وأحجاره وأخشابه.

وأما زبيد وأعمالها تهامة، فكان الصليحي أقسم لا يوليها إلا من وزن له مائة ألف دينار، ثم ندم على يمينه، وأراد أن يوليها صهره، أسعد بن شهاب، صنو أسماء بنت شهاب، زوجة علي بن محمد الصليحي [فوزنت له زوجته أسماء عن أخيها أسعد بن شهاب فولاه] فقال لها زوجها [يا] مولاتنا أنى لك هذا؟ [فقالت]، «هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب»، فتبسم وعرف أنه من خزائنه، فقبضه وقال: «هذه بضاعتنا ردت إلينا» فقالت له: «ونمير أهلنا ونحفظ أخانا».

ودخل أسعد بن شهاب زبيد سنة ستة وخمسين وأربع مئة، وأحسن السيرة مع الرعايا، وفسح للسنة في إظهار أديانهم وسكن دار شحار وهي بنية لا تكاد همة الخراب أن ترتقي إليها. ولا يقدر سلطان الفساد أن يتسلط عليها، وهي مما بناه شحار بن جعفر مولى بني زياد، صاحب مخلاف جعفر. قال أسعد بن شهاب: فاستلقيت يوماً على ظهري أفكر في أمري وأقول: إن الصليحي مبجل وقد ولاني زبيد، وهو يرى مكان السلطان أسعد بن عراف وعامر بن سليمان الزواحي. وفلان وفلان من الملوك، [ومولاتنا] تغمرني بإحسانها، وإن ما ثلتني بأنسابها، فوجدت في نفسي غضاضة من الدخول تحت منة مولاتنا أسماء بنت شهاب، وكرهت أن أمد يدي إلى ظلم أحد من

الرعايا والعمال. ثم غفوت فإذا بتراب ينتثر علي من السقف، وهو مقرنس بالذهب، فصعدت إلى سطوحه وكشفت السطح والسقف، فوجدت صناديق من المال، وفيها من الصامت والذخائر ما يزيد على ثلاث مئة ألف دينار، فقدمت ثلث تلك الجملة، فتصدقت به، وصيرت ثلثها إلى مولاتنا، وتخلصت من منتها. وتأثلت أموالاً وأملاكاً بالثلث الثالث، وعاهدت الله تعالى ألا أظلم أحداً من خلقه، فأقمت والياً خمس عشرة سنة لم يتعلق بذمتي منها إلا ما لا أعلم به.

قال أسعد بن شهاب، وكان مولانا علي بن محمد الصليحي قد ولى معي ثلاثة رجال، كانوا أعواناً على [ما] أردت من الكفاف والعفاف على أموال الناس، فمنهم أحمد بن سالم، كان إليه أمر العمالة، من وادي حرض إلى قريب من عدن، فكان إليه أمر العمالة من الجهات، وكان يحمل عن قلبي شغب العمال، واستخراج الأموال، ولا أحصر من أحواله، إلا على حساب معمول، أو مال محمول. ومنهم القاضي أبو محمد الحسين بن أبي عقامة. وهو من ولد محمد بن هارون التغلبي، الذي قلده المأمون بن الرشيد، الحكم باليمن مع ابن زياد، فكان قائماً عني بأحوال الشريعة، قياماً يجهد عبئه، ويؤمن عيبه. ومنهم أبو الحسن علي بن محمد القم وهو والد الحسين بن علي بن محمد القم الشاعر. وكان هذا من أعيان الرجال كرماً ورياسة، وكفاية في الكفاية، وكان مجيد الشعر، وهو القائل في أخيه، وقد عنفه في شدة ميله إلى ولده الحسين، من مقطوع:

تراه بعين لا يزال يرى بها بنيه وما كل الرجال رجال

قال أسعد بن شهاب، فجعله الداعي علي بن محمد الصليحي معي وزيراً، وكاتب إنشاء وأمرني هو ومولاتنا أسماء، ألا أقطع برأي دون رأيه، وكنت أرسله في كل سنة وافداً عني إلى صنعاء، صحبة العامل أحمد بن سالم عامل تهامة. وأتحمل من تهامة في كل سنة من العين خاصة ألف ألف دينار، فلا

يرجع إلي صاحباي في كل سنة إلا بصلة من مولانا ومولاتنا مبلغها خمسون ألف دينار ، فأقسمها بيني وبين أصحابي.

ومن أخبار السلطان علي بن محمد الصليحي، أنه في سنة خمسين وأربع مئة بلغه أن ابن طرف، قد اجتمع إليه من ملوك الحبشة وأخلاط السودان، فسار إليهم الصليحي في ألفي فارس. فالتقوا بالزرائب من أعمال ابن طـرف، وهـو الوطن الذي ولدت فيه، وبها أهلي إلى اليوم، فاستحر القتال أول يوم بالعرب، ثم كانت الدوائر على السودان، فلم يبق منهم إلا ألف، احتازهم جدي، أحمد بن محمد ، في حصته بعكوة. والعكوتان جبلان منيعان لا يطمع أحد في حصارهما، وفيها يقول راجز[1] الحاج إذا نفروا يخاطب عينه :

إذا رأيت جبلي عكاد

وعكوتين من مكان باد

فابشري يا عين بالرقاد

وجبلا عكاد فوق مدينة الزرائب، وأهلها باقون على اللغـة العـربيـة، مـن الجاهلية إلى اليوم، لم تتغير لغتهم، بحكم أنهم لم يختلطوا قط بأحد من أهل الحاضرة في مناكحتهم ولا مساكنهم، وهم أول قرار لا يظعنون، ولا يخرجون منه.

ولقد أذكر أني دخلت زبيد في سنة ثلاثين وخمسمائة، أطلب الفقه دون العشرين ، فكان الفقهـاء في جميـع المدارس، يتعجبـون مـن كـوني لا ألحن في شيء من الكلام، فأقسم الفقيه نصر الله بن سالم الحضرمي بالله تعالى: لقد قرأ هذا الصبي في النحو قراءة كثيرة. فلما طالت المدة والخلطة بيني وبينه، صرت إذا لقيته يقول: مرحباً بمن حنثت في يميني لأجله. ولما زارني والدي وسبعة من إخواني إلى زبيد ، أحضرت الفقهاء فتحدثوا معهم، فلا والله ما لحن أحد منهم إلا لحنة واحدة نقموها عليه.

---

(١) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي.

ونعود إلى ذكر الداعي علي بن محمد الصليحي، وأدركت العظام والأظفار في موضع الموقعة تنسفها الرياح. إذا اشتدت. ثم عاد الصليحي إلى صنعاء حرسها الله بعد دخوله إلى زبيد، فأقام بها اثنتي عشرة سنة لا يريم عنها.

ومن أخبار مقتل الداعي علي بن محمد الصليحي، وهو يوم السبت اليوم الثاني عشر من ذي القعدة سنة (ثلاث وسبعين) وأربعمائة، وقيل في سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وهي رواية صحيحة، ثم ولى السلطان الداعي المظفر في الدين، ولي أمير المؤمنين، علي بن محمد، أعمال الحصون والجبال لقوم يثق بهم، وأخذ الملوك الأكابر في صحبته، وأخذ معه زوجته الحرة أسماء بنت شهاب أم الملك المكرم، وعزم على التوجه إلى مكة حرسها الله تعالى، وولى ابنه المكرم؛ صنعاء واستخلفه. وتوجه في ألفي فارس، ومن آل الصليحي مائة وستون، حتى إذا كان بالمهجم، ونزل في ظاهرها بضيعة يقال لها أم الدهيم، وبئر أم معبد، وخيمت عساكره والملوك التي معه من حوله، مثل معن وعلي بن معن، وابن الكرندي، وابن التبعي، ووائل بن عيسى الوحاظي، ونظراءهم من الملوك، الذين أخذهم الصليحي خوفاً منهم أن يثوروا بعده على البلاد. ولم يشعر الناس وهم مرتبون في أحوالهم متفرقون في أنديتهم، وانكشف الخبر عن قطع رأس السلطان علي وأخيه عبدالله بن الصليحي، وأحيط بالناس فلم ينج منهم أحد، وانتقل (الأمر) إلى سعيد بن نجاح الأحول، ورماهم بالحراب، وأبقى على وائل بن عيسى الأحاظي، وعلي بن معن، وابن الكرندي، وقتل من بقي، وسبى أسماء بنت شهاب أم الملك المكرم، فأقبل من المهجم عائداً إلى زبيد، والرأسان ينقلان أمام هودجها، إلى أن ركزهما قبالة الطاقة التي أسكنها بزبيد فيها. وأقامت أسماء بنت شهاب عند سعيد بن نجاح سنة كاملة في أسره

أخبار مسير الملك المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين أحمد بن علي بن محمد الصليحي من صنعاء إلى زبيد لأخذ أمه أسماء بنت شهاب من أسر سعيد الأحول

قالوا: لما أعيت الحيلة في إيصال كتاب من أسماء إلى المكرم، أو منه إليها، احتالت أسماء وكتبت كتاباً، وجعلته في رغيف، واحتالت في إيصاله إلى سائل ضعيف، فأوصله إلى المكرم في شوال سنة ستين وأربع مئة، وهي تقول فيه: إني صرت حبلى من العبد الأحول فإن أدركتني قبل أن أضع، وإلا فهو العار الذي لا يزول. فلما وقف المكرم على الكتاب جمع الناس وأوقفهم عليه، فضجوا بالبكاء وثارت الحفائظ وسار المكرم من صنعاء في ثلاثة آلاف فارس بعدما حالفهم وخطبهم، وحرضهم، واستنصرهم. وكان فصيحاً خطيباً شجاعاً مشهوراً بالثبات والإقدام، ولم يكن في زمانه من يتعاطى رمحه وسيفه وقوسه وشدة قوته، وعظم خلقته. ولم يزل في كل منزل يخطب الناس ويقول بهم: (من كان يرغب في الحياة فلا يكن معنا). إلى أن صفا له من الحلفاء ألف وست مئة فارس، وعاد عنه ألف وأربع مئة.

وحدثني الشيخ الفقيه المقرئ سليمان بن ياسين قال: حدثني الشيخ محمد بن علية قال: كنت في مسجد التربة يوم الجمعة عند طلوع الفجر، وقد دخل أهل البوادي إلى زبيد، وتحصنوا بها من خوف العرب، وكنت قد بلغت في الختمة إلى سورة والسماء ذات البروج، ولم يكن لي شغل في ليلتي تلك إلا التلاوة إلى حيث بلغت من الختمة. والمسجد محول في قفرة من الأرض فإذا

أنا بفارس يهولني، وأنا لا أتحققه لغطاط الأرض وبقايا الغبش، فركز رمحه، وأسنده إلى الجناح الغربي الذي أنا فيه. ثم نزل فصعد إلي شخص، ما رأيت من ولد آدم أتم منه خلقة. ولا أحسن منظراً، وروائحه روائح الملوك.

ثم قام إلى جانبي فصلى، ولم يلبث الصباح أن تجلى، وإذ رمحه إمبوبة من اليراع الكولمي، ولا تلتقي عليه الكفان، والفرس مثل البعير، ثم قال لي: اختم حزبك، فتختمت، وهو مصغ إلى التلاوة، وأمرني أن أدعو عند الختم، ففعلت، وهو يؤمن على الدعاء، وإذا الخيل قد أقبلت عند طلوع الشمس إرسالاً وحزقاً، من هجول ذلك الخبت، وكل رعيل منهم يسلم عليه ويقف، وكانت تحيتهم له: أنعم الله صباحك مولانا، وأدام عزه. ولا يزيدهم على الرد أكثر من قوله: مرحباً يا وجوه العرب. إلى أن تكاملوا، وصعد إليه في المسجد أقوام لا أعرف منهم إلا أسعد بن شهاب بحكم ولايته علينا أهل زبيد.

فقلت لأسعد: من هؤلاء؟ فقال: أما هذا فالمكرم الملك السعيد أحمد بن علي الصليحي، وأما هذه فالكرم اليامي، وأما هذا فعامر الزواحي، أكرم عربي تمشي به الخيل، ثم عرضوا على رابع أن يطلع إليهم فلم يفعل، وهو عم أسعد بن شهاب، وعم السيدة أسماء بنت شهاب وليس دون الأربعة في شرف ولا حسب.

ثم قام المكرم فخطبهم بحيث يسمع، وحفظت من كلامه قوله: «أيها المؤمنون إن عزائمكم لو تجسمت حديداً لكان قد أرهفته، ولست اليوم أزيدكم غير ما سمعتموه مني بالأمس، وفيما قبله، وفيما قلته كفاية، وقد كنت أعرض عليكم الرجوع وفي المسافة إمكان، فأما اليوم فقد صار الخيار إلى عدوكم، لأنكم توغلتم عليه خلسة وإنما هو الموت أو العار بفرار لا يجدي، ثم أنشد قول أبي الطيب المتنبي:

وأورد نفسي والمهند في يدي   موارد لا يصدرن من لا يجادل

وكان الحبشة يومئذ قد صفت في عشرين ألف رجل، وكانت ميمنة العرب لأسعد بن شهاب (والميسرة) لعمه، وقال لهما المكرم: لستما كأحد من هذا الجيش لأنكما موتوران، ومولاتنا أخت أحدكما، وابنة (أخي) الآخر. وسار المكرم في القلب وانطوى العسكر (فاصطدم الجيش)، والتقى القوم، فقاتلت الحبشة التي كانت في القلب، وانطوى جناحها، فانكسرت الأحبش، وقتلوا قتلاً ذريعاً، وهرب سعيد بن نجاح الأحول، ومن معه إلى دهلك وجزائرها، ولم يزل القتل في الناس إلى صلاة الظهر على باب المدينة.

ثم كان أول فارس وقف تحت الرأسين المصلوبين، وتحت طاقة أسماء بنت شهاب، ولدها المكرم أحمد بن علي الصليحي، فقال لها المكرم وليست تعرفه: أدام الله عزك يا مولاتنا. فقالت: مرحباً بأوجه العرب، فسلم عليها صاحباه مثل سلامه. ثم سألت: من هو؟ فقال لها: أنا أحمد بن علي بن محمد. قالت: إن أحمد بن علي في العرب كثير، فاحسر لي وجهك، حتى أعرفك، فحسر الحديد عن وجهه فقالت:

مرحباً بمولانا المكرم. وفي تلك الحالة أصابه الهواء فارتعش واختلجت بشرة وجهه، وعاش عدة سنين. وهو ينتفض وتتحرك بشرة وجهه. ثم قالت له: من صاحباك، فسماهما لها. فوهبت لأحدهما ارتفاع عدن في تلك السنة، وكان مائة ألف دينار، ووهبت للآخر حصني كوكبان وحوبان ومخلا فيهما، وليسا دون ارتفاع عدن.

ثم دخل الجيش إرسالاً، وهي في الطاق لا تستر وجهها، وتلك عادتها في أيام زوجها. لسمو قدرها عما يحتجب عنه النساء، ثم تقدم المكرم فأمر بإنزال الرأسين وبنى عليهما مشهداً، وأنا أدركت مشهد الرأسين. ويقال إن أسماء بنت شهاب قالت للمكرم حين سفر عن وجهه: من كان مجيئه كمجيئك، فما أبطأ ولا أخطأ. ولم يكن قولها في كتابها: أنا حاملة من العبد صحيح، وإنما أرادت أن تثير حفيظته.

ونادى منادي المكرم يومئذ برفع السيف بعد الفتح، وقال للجيش: اعلموا أن عرب هذه الناحية يستولدون الجواري السود، فالجلدة السوداء تعم العبد والحر، ولكن إذا سمعتم من يسمي العظم عزماً، فهو حبشي فاقتلوه، ومن سماه عظماً فهو عربي، فاتركوه، ثم تولى خاله مالك بن شهاب أعمال تهامة على جاري عادته، وارتحل إلى صنعاء بأسماء بنت شهاب قرير العين بالظفر. وأدركت أهل زبيد، إذا شتم السوقي صاحبه قيل له: أتشتم الرجل؟ فيقول الشاتم: الرجل والله (هو) الذي أخذ أمه من زبيد، وقتل من الحبشة عشرين ألفاً دون أمه، لعمري إن هذا هو الرجل حقاً، ثم أن المكرم أعطى خاله مالك بن شهاب ولاية زبيد وما معها... لابن شهاب في هذه الكرة، (و) أحمد بن سالم العامل ووافده ارتفاع تهامة، ففرقت أسماء على وفود العرب معظمه، فنتف أحمد بن سالم لحيته وقال: دخلت النار في هذا المال، ثم صار إلى ما صار إليه. فقالت أسماء بنت شهاب: إذا المال لم تصرفه في مستحقه له، فما هو إلا حسرة ووبالاً، ثم كتبت إلى أخيها مالك بن شهاب تأمره أن يحتسب لأحمد بن سالم بعشرين ألفاً من ارتفاع السنة الحاضرة صلة وبراً به، ولم تلبث أسماء بنت شهاب أن ماتت بصنعاء سنة سبع وستين وأربع مئة.

وفي هذه السنة أمر المكرم بضرب الدينار المكي، وإليه ينسب وهو دينار اليمن، والمكتوب عليه: الملك السيد المكرم، عظيم العرب، سلطان أمير المؤمنين. وإلى اليوم الدينار على هذه السكة، إلى أن ولى الداعي عمران بن محمد بن سبأ الزريعي فسك ديناراً آخر كتب عليه: «أوحد ملوك الزمن، ملك العرب واليمن، عمران بن محمد».

ثم عاد بنو نجاح فأخرجوا مالك بن شهاب من زبيد وملكوها سنة إحدى وستين، ثم أخرجهم المكرم بن علي منها، وقتل سعيد بن نجاح الأحول، تحت حصن الشعر، بحيلة من السلطان أبي عبدالله التبعي، يأتي شرحها في أخبار الحرة، الملكة السيدة بنت أحمد. وكان [مقتل] سعيد الأحول في سنة إحدى وستين وأربع مئة.

وفي هذه السنة خرج جياش بن نجاح، والوزير خلف بن أبي الطاهر الأموي إلى عدن متنكرين، وسافرا إلى الهند، وأقاما بها ستة أشهر، وعادا إلى زبيد. فملكاها في بقايا تلك السنة. وفي هذه الكرة ولى أسعد بن عراف زبيد، وجعلوا معه علي بن القم، والد الحسين بن علي بن القم الشاعر، وزيراً، وكاتباً على جاري عادة جرت مع مالك بن شهاب. وقوم يزعمون أن علياً والد الحسين بن علي بن القم، ولي زبيد [مع] مالك بن شهاب، قبل ولاية أسعد بن عراف.

أخبار الحرة الملكة السيدة بنت أحمد

اسمها سيدة بنت أحمد بن [محمد] بن جعفر بن موسى الصليحي، وأمها الرداح، بنت الفارع بن موسى، ثم مات عنها أحمد أبو الحرة السيدة، فخلف عليها عامر بن عبدالله الزواحي، فولدت له سليمان بن عامر بن عبدالله الزواحي وهو أخو الحرة الملكة لأمها، وولي الدعوة الفاطمية بأمرها، ثم قتله الأمير المفضل بن أبي البركات بن الوليد بالسم رحمة الله عليه.

وكان مولدها سنة أربعين وأربع مئة، وتولت أسماء بنت شهاب تأديبها وتهذيبها. ويقال إنها قالت يوماً لأسماء: رأيت البارحة كأن بيدي مكنسة، وأنا أكنس قصر مولانا. فقالت لها أسماء: كأني بك والله يا حميراء، وقد كنست آل الصليحي وملكت أمرهم. وأما صفتها فكانت بيضاء حمراء، مديدة القامة معتدلة البدن. إلى السمن أقرب، كاملة المحاسن، جهورية الصوت، قارئة، كاتبة، تحفظ الأخبار والأشعار والتواريخ. وما أحسن مما كانت تلحقه بين سطور الكتاب عنها من اللفظ والمعنى. وبنى بها المكرم أحمد بن علي في أيام أبيه علي بن محمد الصليحي، عام ثمان وخمسين وأربع مئة، فولدت له أربعة أولاد: محمداً وعلياً وفاطمة وأم همدان. فأما محمد وعلي فماتا طفلين بصنعاء، وأما أم همدان فتزوجها السلطان أحمد بن سليمان الزواحي، وهو ابن خالها، فرزقت منه عبد المستعلي. وأما فاطمة بنت الحرة الملكة من المكرم بن علي،

فتزوجها شمس المعالي علي بن الداعي سبأ بن أحمد، وماتت أم همدان سنة ست عشرة وخمس مئة، وأما فاطمة فماتت بعد أمها بعامين، وذلك في سنة أربع وثلاثين وخمس مئة.

وسمعت غير واحد من شيوخ ذي جبلة يقول: إن الصيلحي كان يخصها من الإكرام في حال صغرها، بما لا يماثلها فيه أحد، ويقول لأسماء: أكرميها فهي والله كافلة ذرارينا، وحافظة هذا الأمر على من بقي منا. قالوا: وسمع غير ذلك منه في غير موطن.

وأما سبب انتقال المكرم بن علي من صنعاء إلى مدينة ذي جبلة، فإن المكرم حين ماتت والدته، الحرة أسماء بنت شهاب، فوض الأمر إلى زوجته هذه، الملكة السيدة بنت أحمد، واستروح إلى السماع والشراب. واستبدت الملكة السيدة بنت أحمد بالأمر. ويقال إنها استعفته في نفسها. وقالت له: إن امرأة تراد للفراش لا تصلح لتدبير، فدعني وما أنا بصدده، فلم يفعل.

ثم إنها ارتحلت من صنعاء في جيش جرار، وتركته في صنعاء، وارتادت ذي جبلة. وجبلة كان رجلاً يهودياً يبيع الفخار في الموضع الذي بنيت فيه دار العز الأول، وبه سميت المدينة وأول من اختط ذي جبلة، عبدالله بن محمد الصليحي المقتول بيد الأحول مع أخيه السلطان علي بن محمد الصليحي، الداعي، يوم المهجم، وكان أخوه قد ولاه حصن التعكر. وهذا الحصن مطل على ذي جبلة، وهي في سفحة، وهي مدينة بين نهرين جاريين في الصيف والشتاء، واختطها عبدالله بن محمد ثمان وخمسين وأربعمائة، ثم حشرت الرعايا في مخلاف جعفر تحت ركابها، (و) لما عادت إلى صنعاء، قالت إلى المكرم، لوسل يا مولانا إلى أهل صنعاء فليحتشدوا في غد، ليحضروا إلى هذا الميدان، فلما حضروا قالت له: أشرف عليهم (و) انظر ماذا ترى. فلم يقع طرفه إلا على برق السيوف، ولمع البيض والأسنة...

ثم لما توجهت إلى ذي جبلة قالت له: احشد أهل ذي جبلة ومن حولها.

فلما اجتمعوا صبيحة اليوم الثاني. قالت: أشرف يا مولانا، انظر هؤلاء القوم، فلم يقع بصره إلا على رجل يجر كبشاً، أو يحمل ظرفاً مملوءاً بالسمن أو العسل. فقالت له: العيش بين هؤلاء أصلح. فانتقل الملك المكرم إلى ذي جبلة، فاختط بها دار العز الثانية في ذي بور. وكان حائطاً فيه بستان وأشجار كثيرة، وهو مطل على النهرين. وعلى الدار الأولى. وأمرت الملكة السيدة ببناء الدار الأولى مسجداً جامعاً، وهو المسجد الجامع الثاني. وبه قبر الملكة السيدة رحمها الله تعالى، إلى الآن. وكان بناء الدار، دار العز الثانية الكبيرة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

ثم استخلف المكرم على صنعاء، عمران بن الفضل اليامي وأبا السعود بن أسعد بن شهاب. وفي هذه السنة دبرت الحرة الملكة قتل سعيد بن نجاح. الأحول إلى زبيد، ويقول له: إن المكرم قد أصابه الفالج، وعكف على الملذات ولم يبق أمره إلا بيد امرأته، وأنت اليوم أقوى ملوك اليمن، فإن رأيت أن تطبق على ذي جبلة، أنت من تهامة، ونحن من الجبل، فتستريح منه، وترجع إليكم البلاد بأسرها، فافعل، فدولتكم أحب إلى المسلمين.

هؤلاء الخوارج. قال: فلما وقف سعيد بن نجاح على كتاب حسين بن التبعي، حسن موقع ذلك عنده، واستخفه الفرح بذلك، فخرج من زبيد، يريد ذي جبلة في ثلاثين ألف حربة، وكان مسيره في يوم قد وعده التبعي فيه، وقد كانت الحرة الملكة كتبت إلى أبي الفتوح بن أسعد بن شهاب، وعمران بن الفضل في صنعاء، أن يخلفا نجاحاً على تهامة في ثلاثة آلاف فارس، ثم يتبعان أثره منزلاً بمنزل، ففعلا.

ولما نزل سعيد بن نجاح تحت حصن الشعر، أطبق الجيشان عليه فقتل هو ومن معه، وقيل نجا منهم ألفان، ونصب رأسه تحت الطاقة التي تسكنها الحرة بدار العز. وكانت أم المعارك، زوجة سعيد بن نجاح معه، وهي التي عرفت رأس مولانا في القتلى، فصلب بالقرب من طاقتها. وكانت الحرة الملكة تقول

عند صلب رأس سعيد بن نجاح: ليت لك عيناً يا مولاتنا حتى تنظري رأس الأحول تحت طاقة أم المعارك.

وفي سنة سبع وسبعين وأربع مئة، مات المكرم أحمد بن علي، وأسند الوصية بالدعوة إلى الأمير الأجل الأوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء، أبي حمير سبا بن أحمد المظفر بن علي الصليحي.

أخبار الداعي سبا بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي

أما صفته فكان دهيم الخلق قصيراً لا يكاد يظهر من السرج بطائل، أما هو فكان جواداً كريماً، شاعراً أديباً فاضلاً، عالماً بالمذهب الطاهر خبيراً بأقوال الحكماء، منشأ بالشعر، يثيب بالمدح، ويثيب على المدح.

ومن ذلك قول علي بن الحسين بن القم فيه:

ولما مدحت الهزبري ابن أحمد … أجاز، وكافاني على المدح بالمدح
فعوضني شعراً بشعري، وزادني … عطاء فهذا رأس مالي، وذا ربحي
شققت إليه الناس حتى لقيته … فكنت كمن شق الظلام إلى الصبح
فقبح دهر ليس فيه ابن أحمد … ونزه دهر كان فيه من القبح

وأما مقر عزه فحصن يقال له أشيح، وكان أشيح حصناً عالياً يماثل مسار والتعكر (في العز والمنعة)... وحدثني المقري سليمان بن ياسين، وهو من أصحاب أبي حنيفة، قال: بت في حصن أشيح ليالي (كثيرة)، وأنا عند الفجر أرى الشمس تطلع من المشرق، وليس فيها من النور شي، وإذا نظرت إلى تهامة، رأيت عليها من الليل بقايا وطحا، يمنع الماشي أن يعرف صاحبه من قريب. وكنت أظن ذلك من السحاب أو البخار، وإذا هو عقابيل الليل، فأقسمت ألاَّ أصلي الصبح إلا على مذهب الشافعي لأن أصحاب أبي حنيفة يؤخرون الصبح إلى أن تكاد الشمس أن تطلع على وهاد تهامة، وما ذلك إلا لأن المشرق مكشوف من الجبال وذروته عالية.

وكانت حصون بني المظفر مطلة على تهامة، مصاقبة لأعمال زبيد، وهي أقرب إلى تهامة من جميع الجبال. ومن حصونهم: مقرو ووصاب وقوارير، والظرف، والشرف. ومن الشرف هذا آثار ابن مهدي وذو الرسه، وظفار، وريمة ومخاليفها.

وبحكم مصاقبة أعمال سبأ لتهامة، كان يساقي جياش سجال الحرب، وذلك أن العرب كانوا إذا برد النسيم، ونزلوا إلى تهامة، فلا يلبث جياش إلا أن يتنزح من البلاد، ولكن غير بعيد، ويقيم سبأ يجبي خراجها، ولا يؤذي أحداً من الرعايا بظلم، ولا غيره. فكان يحتسب للعمال بما قبض منهم جياش في أشهر الصيف والخريف. فإذا خرج الشتاء والربيع، ارتحلت العرب عن تهامة إلى الجبال وملكها جياش. فتارة يكون رحيل العرب عنها بالقتال، وتارة (بغير قتال). وإذا عاد جياش إلى زبيد نشرت المصاحف، وابتهل له الرعايا بالدعاء، وحلفت الفقهاء، وتطاول العلماء: واحتسب جياش أيضاً للعمال، وجباة الأموال بما قبضه منهم سبأ في شهور الشتاء والربيع.

ولما طال ذلك من أمرهما، أشار الوزير خلف بن أبي الطاهر على جياش بأن يعتقله، ويقبض على أمواله وأملاكه، ويقيم محمد بن الغفاري وزيراً له، ففعل ذلك. ثم أن خلفا نقب الحبس، وهرب إلى سبأ، فحسن موضعه منه. فلم يزل يحسن لسبأ النزول إلى تهامة، وضمن له من الحيل والمكائد، ما يقطع به دابر جياش... لسبأ، ما لا يقدم به مقام النصف، وأن يشترط على سبأ إبعاد الوزير خلف من عنده، فلما فعل جياش ما أشار به الوزير، واستحكمت أطماع العرب في البلاد واطمأنوا، ثم أن القائد ريحان الكهلاني، مولى سعيد بن نجاح، بيت العرب ليلاً، وهم مرتبون على باب زبيد، في عشرة آلاف. وكانوا ثلاثة آلاف فارس، وعشرة آلاف راجل فلم ينجح منهم إلا صبابة يسيرة، وهلك الجميع قتلاً بالحراب، وهرب سبأ في تلك الليلة، راجلاً في أغمار الناس، حتى لقيه في آخر الليل من حمله، فلم تعد العرب إلى تهامة بعدها.

ومن أخبار سبأ بن أحمد الداعي ما حدثني به الفقيه أبو عبدالله الحسين بن علي البجلي، عن أبيه، وكان يسكن بذي جبلة، وهو من خواص الداعي سبأ بن أحمد قال: لما مات المكرم بن علي، عن الحرة الملكة السيدة بنت أحمد، خطبها الداعي سبأ بن أحمد، فكرهت ذلك. فجمع العساكر، وسار من أشيح، يريد حربها بذي جبلة، فجمعت هي أيضاً جنوداً أعظم من جنوده، وتصاف العسكران، وشب الحرب بينهما أياماً. ثم قال له أخوها لأمها، سليمان بن عامر الزواحي: والله لا أجابتك إلى ما تريد، إلا بأمر الإمام المستنصر بالله، أمير المؤمنين. فترك سبأ بن أحمد الداعي الأوحد المنصور، قتالها، ورجع إلى أشيح، وسير إلى الإمام المستنصر بالله رسولين هما: القاضي (أبو عبدالله) حسين بن إسماعيل الأشبهاني، وأبو عبدالله الطيب. فكتب الإمام المستنصر بالله إليها في أثناء المكاتبات ثلاثة سطور يأمرها فيها بنكاح الداعي سبأ بن أحمد (وسير إليها) أستاذاً له يعرف بحامل الدواء، وينعت بيمين الدولة، برسم الدخول على الحرة الملكة. قال البجلي: وكنت فيمن بعثه الداعي سبأ بن أحمد من حصن أشيح إلى ذي جبلة، صحبة الرسولين والأستاذ، الواصلين من القاهرة المعزية. فحين دخلنا على الحرة الملكة السيدة بنت أحمد، وهي بدار العز من ذي جبلة، تكلم الأستاذ وهو واقف بين وزرائها، وكتابها، وأهل دولتها قيام لقيامه فقال: أمير المؤمنين يرد (السلام) على الحرة الملكة، السيدة الرضية الزكية وحيدة الزمن. سيدة ملوك (اليمن). عمدة الإسلام ذخيرة الدين. عصمة المسترشدين. كهف المستجيبين. ولية المؤمنين. وكافلة أوليائه الميامين. ويقول لها: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم. ومن يعصى الله ورسوله، فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾** وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الأوحد، المنصور، المظفر، عمدة الخلافة أمير الأمراء. أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر (بن) علي الصليحي. على ما حضر من المال. وهو مائة ألف دينار عيناً. وخمسون ألفاً أصنافاً، من تحف، ولطائف وطيب، وكساوى،

فقالت: أما كتاب مولانا فأقول فيه: «إني ألقي إليّ كتاب كريم، إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. ولا أقول في أمر مولانا: «يا أيها الملأ أفتوني في أمري، ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون». وأما أنت يا ابن الأصبهاني، فوالله ما جئت إلى مولانا من سبأ بنبأ يقين، ولقد حرفتم القول عن موضعه. وسولت لكم أنفسكم أمراً «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون».

ثم تقدم زريع بن أبي الفتح وزيرها، والأصبهاني ونظراؤهما، فلم يزالوا يلاطفونها. حتى أجابتهم. فعقدوا النكاح. ولم يلبث سبأبن أحمد أن سار في أمم عظيمة إلى ذي جبلة، فأقام بها شهراً، والضيافات الواسعة (تخرج) إلى مخيمه، وأنفق على عساكره من ماله مثل (ما) قدمه إليها من المهر.

ورأى الداعي سبأبن أحمد من علو همتها، وشرف أفعالها (ما حقر نفسه معها) وأن أحداً من الناس لا يعدل بها أحداً، وكل أحد يقول: مولاتنا، مولاتنا. وأرسل الداعي سبأبن أحمد إلى الحرة الملكة في السر، يسألها أن تأذن له بالدخول إليها، إلى دار العز. ليتوهم الناس أنه دخل بها، ففعلت ذلك، وزعم قوم من أهل ذي جبلة أنه اجتمع بها ليلة واحدة، ثم ارتحل في صبيحتها، وقوم يقولون: إنها بعثت إليه جاريتها فلانة، وكانت شبيهة بها. ونمى ذلك إلى الداعي سبأبن أحمد فباتت الجارية واقفة على رأسه، وهو جالس لا يرفع طرفه إليها، حتى إذا طلع الفجر، صلى. وأمر بضرب الطبول، وقال للجارية: أعلمي مولاتنا أنها نطفة شريفة لا توضع إلا في مستحقها. ثم سار فلم يجتمعا بعد. ويقال إن الداعي سبأبن أحمد، ما وطىء أمة قط، ولا شرب مسكراً، وكانت زوجته الجمانة بنت سويدبن يزيد الصليحي، تقول: «أنا لا أغير على مولانا سبأ، لأنه لا يطأ أمة قط». والعربيات تقول: ما أنسلت حواء مثل الجمانة، غير أسماء وبنت شهاب.

ودخل في هذه المدة شجاع الدولة، وأغنوه، ودفع له شمس المعالي ألوفاً

من المال، وكان كريماً، وهو زوج فاطمة بنت المكرم، من الحرة الملكة، ثم تزوج عليها، فكتبت إلى أمها، تستنجدها، فأمدتها بالمفضل بن أبي البركات في عساكر. ولبست فاطمة زي الرجال. وفصلت من حصن زوجها في عسكر المفضل، فسيرها إلى أمها الملكة، وأدام الحصار على شمس المعالي، حتى أخرجه من مملكته بأمان على نفسه. فوصل إلى الأفضل مستنجداً، فلم يلتفت الأفضل إليه، ولم يكرم، وحمل إليه الأمير شجاع الدولة، الذي كان قد أغناه في اليمن، ثلاثين أردبا من الشعير، ولم يطعمه لقمة خبز، ولا أحسن معه عشرة. وعاد علي بن سبأ، وشمس المعالي إلى اليمن، فملك حصون أبيه، ودس عليه الأمير المفضل من قتله بالسم سنة خمس وتسعين وأربع مئة.

هذه أخبار الملك المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري، صاحب التعكر. لما اختطّ المكرم بن علي دار العز بذي جبلة، وانتقل عن صنعاء إلى مخلاف جعفر قال عبدالله بن يعلى[1]:

هب النسيم فبت كالحيران شوقاً إلى الأهلين والجيران
ما مصر ما بغداد ما طبرية كمدينة قد حفها نهران
خدد لها شام وحب مشرق والتعكر السامي الرفيع يمان

وكان التعكر يومئذ في يد السلطان أسعد بن عبدالله بن محمد الصليحي، ابن عم الملك المكرم، الذي قتل مع الداعي علي بن محمد، أخيه في المهجم فساءت سيرة هذا، أسعد بن عبدالله بن محمد، ابن عم الملك المكرم، فنقله عن مجاورته، وعن التعكر وعوضه حصون ريمة وأعمالها (وجعل أبا البركات بن الوليد واليامي التعكر وأعمالها) وولى أخاه أبا الفتوح بن الوليد حصن تعز والمفضل يتوصف للملك المكرم بذي جبلة، وهو من صغار الدار، الذين يدخلون على الحرة الملكة، في رسائل الملك المكرم والحوائج بينهما.

ولما مات أبو البركات والد الأمير المفضل، بعد الملك المكرم، جعلت

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي.

الحرة ولاية التعكر، إلى المفضل بن أبي البركات، بعد أبيه وكان التعكر مقر ذخائر بني الصليحي التي صارت إليهم من ملوك اليمن، والحرة تطلع من ذي جبلة في أيام الصيف فتقيم به. وإذا برد الوقت سكنت بذي جبلة. والمفضل يتصرف عن أوامرها، ويدخل عليها مع خواص وزرائها. والأمراء والأكابر من عبيدها، وهو رجل الدولة ومدبرها، والمرجوع إلى رأيه وسيفه، والحرة لا تقطع أمرا إلا به، فعظم بذلك شأنه، وعلت كلمته، وغزا تهامة مراراً (فتارة) له و(تارة) عليه، وهبط عدن مراراً، ولم يبق باليمن من يساميه ثم قال للحرة يوماً، وهو في التعكر: انظري يا مولاتنا إلى ما كان في هذا الحصن من ذخائر، فانزلي به إلى دار العز، أو فاعزليه في بعض هذه القصور. وأما هذا الحجر، يعني التعكر، فاتركيه لي، فلا طاعة لك علي فيه بعد اليوم. فقالت له: لو لم تقل هذا القول ما أحوجتك إليه، الحصن حصنك، وأنت رجل البيت، ولا حرج عليك مني، فيما عاد لسمو قدرك، وعلو أمرك. فخجل منها وأطرق، ونزلت الحرة الملكة إلى ذي جبلة، ولم تغير من الأحوال شيئاً، فكان ينزل إليها ثم يترضاها في طلوع الحصن كعادتها، فلا تفعل.

وهي مع ذلك تواصل بره بما يحسن عنه موقعه، من الجواري المغاني، والكساوي، والطيب، والعبيد، والأستاذين وغير ذلك. ومن لامها فيه، وحذرها منه لم تسمع كلامه. وله في نصرتها والذب عن أعمال دولتها مواطن حميدة، منها: أنه حارب الداعي سبأبن أحمد، حين خطب الحرة فلم تفعل، فسار إلى سبأ في جيوش عديدة، وحارب علي بن سبأ صاحب قيضان وأخرجه منه، وحارب عمرو بن عرفطة الجنبي، وغيره من سنحان، وعنس، وزبيد، واسترجع لها نصف عدن من آل الزريع بمائة ألف دينار كل سنة.

وحدثني الشيخ أبو الطاهر القابوني قال: أذكر يوماً وأنا عند المفضل بن أبي البركات، وقد أتاه ارتفاع نصف عدن، خمسين ألف دينار، فسيرها من وقته إلى الحرة الملكة، إلى ذي جبلة، ولم يتعلق منها شيء فعاتبته على ذلك،

فقال: ليس ينفعني إلا ما حصل [لي] عندها. فلما وصل المال إليها أعادته إليه، وقالت: أبقيه عندك، فأنت أحوج إليه منا. قال أبو الطاهر: ففرق المفضل على الحاضرين عشرة أكياس، فنالني منها كيس، فيه ألف دينار.

وكان المفضل يحتجب حتى لا يرجى لقاؤه، ثم يظهر فيغني من اجتمع ببابه من الوفود، ويصل إليه الضعيف والقوي، فينظر في أحوال الأعمال والعمال، ويجيب عن كل كتاب وصل إلى الباب. ثم يغيب فلا يظهر، ولا يوصل إليه، وهذه عادته منذ عظم أمره.

ولما أخرج المنصور (بن فاتك) بن جياش، بعمه، عبد الواحد بن جياش، هاجر هو وعبيده إلى الملك المفضل، والتزموا على النصرة ربع البلاد، فسار المفضل معهم، فأخرج عبد الواحد وملكهم، ثم هم أن يغدر بهم، ويملك زبيد عليهم، فحين خلا التعكر من المفضل وطالت إقامته بتهامة، وفي التعكر نائب يقال له الحمل، وكان هذا الحمل متقمصاً، متمسكاً بالدين فصعد إليه إلى التعكر، سبعة من إخوانه الفقهاء، منهم محمد بن قيس الوحاظي، ومنهم عبدالله ابن يحيى، ومنهم إبراهيم بن محمد زيدان، وله كانت البيعة، وهو عمي، أخو والدي لأبيه وأمه، وأخذوا الحصن من الحمل.

وكانت الرعايا من السنة قد قالوا للفقهاء: إذا حصلتم في رأس الحصن فأوقدوا النار، ففعلوا ذلك ليلاً، فأصبح عندهم على باب الحصن عشرون ألفاً، واستولت الفقهاء على ملك لم يعهد. ووصل الخبر إلى الأمير المفضل بتهامة فسار لا يلوي على أحد، حتى وصل إلى التعكر (فطلع عزان التعكر، وصار محاصراً للتعكر)، وحصر الفقهاء، فقامت خولان في نصرة الفقهاء، وأقام الحصار عليهم. ثم رأوا أن خولان خاذليهم، فقال لهم إبراهيم بن زيدان: لن أموت حتى أقتل المفضل، ثم أهلاً بالموت. فعمد إلى خطاياه من السراري فأخرجهن، في أكمل زي وأحسنه، وجعل بأيديهن الطارات، وأطلعهن على سقوف القصور. بحيث يشاهدهن

وكان المفضل أكثر الناس غيرة وأنفة، فقيل إنه مات في تلك الليلة، وقال آخرون: امتص خاتماً كان في يده، معداً عنده، فأصبح ميتاً، والخاتم في فيه، فكان موته في رمضان سنة أربع وخمسمائة.

ولما مات المفضل طلعت الحرة الملكة من ذي جبلة، وخيمت بالربادي على باب التعكر، وكاتبت الفقهاء ولاطفتهم، إلى أن كتبت لهم بخطها، بما اقترحوه من أمان وأموال، واشترط عليها أن ترحل هي وجميع الحشود، ويصل إليهم من يرضونه والياً، ويقيمون مع الوالي، إلى أن تصل غنائمهم مأمنهم، فوفت لهم بذلك. وولت التعكر مولانا فتح بن مفتاح. وحدثني السلطان ناصر بن منصور قال: حدثني عمك إبراهيم بن زيدان، بعد نزوله من التعكر أن نصيبه من العين كان خمسة وعشرين ألفاً. وكانت خولان قد دخلت منها إلى مخلاف جعفر، قبل موت الملك المفضل، ستة آلاف برمى الشعر، وأكثرها بنو بحر، وبنو ضنة، ومران، ورواح، ورازح، وشعب حي، وبنو جماعة، ففرقهم المفضل في الحصون، واستحلفهم للملكة.

فلما مات المفضل وثب من مران، رجل يقال له مسلم بن الزر، على حصن خدد، فأخرج منه السلطان عبدالله بن يعلى الصليحي، الشاعر الأديب، الفاضل الكامل، وملكه. وكان عبدالله بن يعلى هذا كثير الأموال، فانتقلت أمواله إلى مسلم بن الزر. فقويت شوكته، واتصل بالحرة الملكة، وبحواشيها، ورجا أن تقيمه الحرة عوضاً عن المفضل بن أبي البركات، وبعث إليها بولديه: عمران وسليمان، فحسن موقعهما من قبله، وأمرت بهما فعلما الخط على كبر. فلما كان بعد ذلك زوجت سليمان بعض ربائبها عندها، وصارا يختلفان إلى أبيهما بخدد، وخولان مستظهرة، ولهم صولة وكلمة.

فلما مات مسلم ملك ولده سليمان حصن خدد، وبقي عمران عندها، ثم أن عمران حسنت حاله عندها. وكان فتح بن مفتاح بعد موت مسلم بن الزر خالف على الملكة مولاته بحصن التعكر، واستبد به دونها، فتلطف عمران حتى

خطب إلى القائد فتح بن مفتاح ابنته. بعد خلافه وعصيانه عليها بالتعكر. فلما كانت ليلة الدخول بها، دبر سليمان وعمران على فتح حتى غدرا به، وملك عليه التعكر، فأجاره عمران. واشترط عليهما فتح أشياء. وفيا له بها، منها: أنهما وهبا له حصناً يقال له شار، فنقل إليه من الذخائر ما يعز عليه. فلما حصل التعكر بيد عمران واصل الحرة الملكة ببذل الطاعة والخدمة، فلم تلتفت إليه. وامتدت أيدي خولان على الرعايا وغيرهم، وعاثوا وأفسدوا. وكانت الليلة التي ملكوا فيها حصن التعكر، ليلة الأحد، الثاني عشر من ربيع الأول سنة خمس وخمس مئة.

ولم تزل هذه حالة خولان مع الحرة، إذا رأتهم قد طغوا، أرسلت إلى عمرو بن عرفطة الجنبي، سطراً أو سطرين بخطها، فيقبض على بلاد ابن الزر (بجيشه) من العساكر، الفارس والراجل، فلا يخلصها منه إلا الضراعة إليها والسؤال لها في صرف العرب عنها.

ولقد حكى لي السلطان يزيد بن عيسى الوائلي، قال: أذكر وقد أرسلني عمران بن الزر إلى الحرة الملكة، وهو مصاف للعرب، يستنجد بالحرة، فبعثت إليه بعشرة آلاف دينار معونة. فرد بها إليها وقال: هي تعرف ما ينفعني. قال يزيد بن عيسى: فكتبت لي بخطها إلى عمرو بن عرفطة الجنبي برقعة فيها: إذا وقفت على أمرنا هذا، فارتحل عن بلاد ابني الزر مشكوراً.

فلما وقف عمرو بن عرفطة عليها، نادى في الناس بشعار الرحيل. وهو قوله: يا راشد بن مروح. فلم يمض ساعة وبقي أحدهم. فقال: عمران لأخيه: هذا وربك العز والطاعة. ولما كان في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، قدم إلى اليمن ابن نجيب الدولة.

وهذه أخبار الموفق ابن نجيب الدولة. منها: أنه كان في ابتداء أمره على خزانة الكتب الأفضلية، وكان عزيز الحفظ، مستبصراً في المذهب الطاهر، قائماً بتلاوة القرآن العزيز، وكان يقرأ على روايات. فأما اسمه، فهو علي بن

إبراهيم بن نجيب الدولة، وأما نعوته: فهو الأمير المنتخب عز الخلافة الفاطميـة، فخر الدولة، الموفق في الدين داعي أمير المؤمنين، سار بمن معه من الحجرية عشرون فارساً مختارة منتقاة.

وحين وصل ابن نجيب الدولة إلى جزيرة دهلك، لقيه الكاظم، الواصل من عدن، محمد بن أبي عرب، الداعي، من ولد صاعد بن حميد الدين، فكشف لابن نجيب الدولة، أسرار اليمن، وأحوال الناس كلهم، وأسماءهم وحلاهم وكناهم وتواريخ مواليدهم، وما تحت ثياب أكثرهم من شامة أو أثلول، أو جراح أو أثر نار. فكان ابن نجيب الدولة إذا سألهم عن غوامض هذه الأشياء، اعتقدوا أنه يعلم الغيب، وأول ما عمل بذي جبلة، أن أخذ رجلاً من بني خولان من بني عمرو، ثم من بني عمران بن الزر. يقال له سليمان بن عبيد. وهو رجل نبيه عالي الذكر فضربه بالعصا حتى أخذت في ثيابه، ورجعت خولان عن ذي جبلة فهم سليمان بن أحمد الزواحـي ابن أخي الحرة الملكة، وزوج أم همدان بنت المكرم. فأخذ الخولاني من ابن نجيب الدولة بغير اختياره، فخلع عليه وأرسله إلى قومه. فانكفت أكف خولان عن ذلك البسط. ثم أن ابن نجيب الدولة غزا أهل وادي ميتم وزبيد. وعز أهل السلة، فأمنت البلاد، ورخصت الأسعار، وانكف الذعر وقبض يده عن أعمال الناس، وعدل فيهم، وأقام الحدود، وعـز به جانب الحرة الملكة. وانقمع أهل اليمن عن الطمع في أطراف بلادها واستخدم، من بني حماس، وسنجـان: ثلاث مئة فارس، وقدم عليهم الطوق الهمداني.

ولما مات الأفضل سنة خمس عشرة وخمس مئة، قواه المأمون وشد أزره. وكتب إليه بالتفويض وبسط يده ولسانه وسير إليه المأمون أربع مئة قوس أرمني. وسبع مئة أسود وسكن الجند وهي وطيئة للحافر. متوسطة في الأعمال. فضاق الأمر على سلاطين الوقت وهم: سليمان وعمران ابني الزر، ومنصور بن المفضل بن أبي البركات، وسبأ بن أبي السعود، ومفضل بن زريع.

وفي سنة ثماني عشرة، غزا زبيد (فقاتل أهلها على باب القرتب). والوزير يومئذ من الله الفاتكي، وكان عشرة رماة من أصحاب ابن نجيب الدولة قد استأمنوا إلى أصحاب زبيد، ولما تزاحف الناس في الحرب، رمى رجل من العشرة المستامنة بسهم، فلم يخطىء أنف الفرس الذي عليه ابن نجيب الدولة، فسقط علي بن إبراهيم إلى الأرض حتى شت به الفرس، فانهزم عسكره، فقتل السودان بأسرهم، ولم ينج من الأرمن سوى خمسين، وكانوا أربع مئة قوس.

وأما الداعي، فقاتلت عليه همدان أشد قتال حتى أردفه منهم رجل يقال له السباعي، وجاهدت عنه من همدان خمسة عشر فارساً، أحدهم الطوق، وعار، فرس ابن نجيب الدولة من الوقعة، صلاة الظهر يوم الجمعة، فأصبح يوم السبت في مدينة الجند، وبينها وبين زبيد أربعة أيام، أو ثلاثة للمجد، ولم يمس الخبر إلا بذي جبلة. بأن ابن نجيب الدولة قتل بزبيد. ثم وصل الداعي إلى الجند. بعد أربعة أيام، وركب إلى ذي جبلة. واجتمع بالحرة. فارتاش، وعادت حاله. فغزا بلاد سليمان بن أبي الزر، أربعة أشهر ثم تهادنا، وعاد إلى الجند. ثم غزا آل الزريع إلى الجوة. فالتقى معه المفضل بن زريع بحمى بني سلمة. فطعن ابن نجيب الدولة، وكان جعد الفراسة، فسقط إلى الأرض، فطعنه عبد المسعود بن زريع، يقال له مسافر، وحمل الطوق الهمداني على مسافر فقتله، ووقف عند ابن نجيب الدولة حتى ركب، وعاد ابن نجيب الدولة إلى الجند، وكان جوشنه قد سقط، ووقع على الأرض في هذه المعركة. فقال مفضل بن زريع ابن نجيب الدولة لما سقط جوشنه:

مضى هارباً ناسياً جوشنه	مخافة يام بأن تطعنه
وليس من الموت ينج الفرار	كذاك ترى الأنفس الموقنه

وفي سنة تسع عشرة [وخمس مئة] ساءت سيرته على الملكة الحرة وقال: قد خرفت، واستحق عندي أن يحجر عليها. فعند ذلك وصل إليها السلاطين الستة: سليمان وعمران ابنا الزر، وسبأ بن أبي السعود، وأبو الغارات، وأسعد

ابن أبي الفتوح، والمنصور بن المفضل. واستأذنوها في حصار ابن نجيب الدولة في الجند، فأذنت لهم. وكانت الجند مسورة، ومعه فيها من همدان أربعة مئة فارس منتقاة.

فجاءته السلاطين في ثلاثة آلاف فارس، وثلاثة آلاف راجل، وأحاطوا به. وكانت مع ابن نجيب الدولة في الجند فرسان، كل فارس منهم يعد بمئة فارس، منهم: الطوق بن عبدالله، ومحمد بن أحمد بن عمران بن الفضل بن علي اليامي، وعبدالله بن عبدالله الذي ولي الدعوة بعد ابن نجيب الدولة، وهو من بني الصليحي، ومنهم علي بن سليمان الزواحي، وأبو الغيث بن سامر، ومحمد بن الأعز. وعاش إلى أن ذبحه ابن مهدي غدراً، ومنهم الفريدين.

ولما اشتد الحصار على ابن نجيب الدولة، وهو في أشد التعب، كتبت الحرة الملكة على جاري العادة منها إلى عمرو بن عرفطة الجنبي، فأتاهم فخيم في ذي جبلة، وبعثت إلى وجوه القبائل ففرقت فيهم عشرة آلاف [دينار] مصرية. وقالت للرسل أشيعوا في القبائل أن ابن نجيب الدولة، فرق في الناس عشرة آلاف [دينار] مصرية. فإن أنفق السلاطين شيئاً من الذهب المصري. وإلا ارتحلنا. فلما خوطب السلاطين بذلك، وعدوا الناس. فلما كان من الليل ارتحل السلاطين، كل واحد منهم إلى بلده، وأصبحت الحشود من كل بلد بلا رأس، فانفض الناس عن الجند فقيل لابن نجيب الدولة: هل أبصرت هذا التدبير للتي قلت إنها قد خرفت. فركب إلى ذي جبلة، وتنصل واعتذر. وكانت الملكة حجة الإمام عليه السلام. وكان سبب هذا القبض على ابن نجيب الدولة، [على ما حدث] الفقيه أبو عبدالله الحسين بن علي البجلي، أن المأمون في وزارته، سير رسولاً إلى اليمن كان يحمل السيف، ويسمى الأمير الكذاب، فلما وصل اجتمع بابن نجيب الدولة في ذي جبلة في مجلس حافل، ولم يكن ابن نجيب الدولة أكرمه، ولا أضافه، ولا عني به، وقصد أن يغض منه، فقال له ابن نجيب الدولة: أنت والي الشرطة بالقاهرة. فقال: بل الذي يلطم خيار من فيها عشرة آلاف نعل. فغضب من ذلك ابن نجيب الدولة.

والتصق أعداء ابن نجيب الدولة إلى هذا الرسول، وأكثروا بره، وحمل الهدايا إليهم، وضمن لهم هلاك علي بن إبراهيم بفصلين:

أما أحدهما فقال: اكتبوا على يدي إلى مولانا الآمر كتباً تذكرون فيها أنه دعاكم إلى نزار وراودكم على ذلك فامتنعتم. والفصل الثاني: اضربوا سكة نزارية، وأنا أوصلها إلى الآمر بأحكام الله. ففعلوا ذلك ووافق وصوله من اليمن القبض على المأمون، فأوصل الكتب والسكة إلى مولانا، فقضى ذلك بتسيير الأمير الموفق ابن الخياط للقبض على ابن نجيب الدولة، وسار معه من الباب مئة فارس من الحجرية المفطعين.

وممن كان في صحبة ابن الخياط هذا، عز الدين، وسار مع ابن الخياط ابنه سعد الملك. فلما وصل الخبر بأن الرسول في دهلك، توجه ابن نجيب الدولة إلى زبيد، بعد امتناع، وكراهية لذلك. وكان يقول: داع لا ينافق، والموت أصلح من النفاق. ودخل أعداؤه إلى الحرة الملكة، وقالوا لها: احتفظي يا مولاتنا بابن نجيب الدولة، فإن الإمام لا يطلبه إلا منك، فتمارضت الملكة وأرسلت إليه الشريف أسعد بن عبد الصمد بن محمد الحوالي، وكان أصدق الناس إليه. فأدركه في الجند في ليلة. فقال له: هذه الحرة الملكة، حجة مولانا، مشرفة على الموت وليست تثق بأحد إلا بك، فارجع إليها فرجع، فاحتفظت به على كرامة، وقيدته، بقيد فضة، فيه خمسون أوقية.

ووصل الرسول من عدن يطلبه، فامتنعت الحرة الملكة عليه، وقالت له: «أنت حامل كتاب مولانا فخذ جوابه، وإلا فاقعد حتى أكتب إلى مولانا ويعود الجواب». فدخل السلطان سليمان وعمران ابنا الزر وبذلا لعبدالله بن المهدي المعمري عشرة آلاف دينار، وحصنين بأعمالها. وكانت الحرة الملكة إلى رأيه، فخوفها سوء السمعة بالنزارية، وأمر الرسول ومن معه أن يشيعوا بذلك. ولم يزل بها حتى استوثقت لابن نجيب الدولة من ابن الخياط بأربعين يميناً. وكتبت إلى مولانا الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين، وسيرت رسولاً، هو

كاتبها محمد بن الأزدي وكان أديباً منشئاً للديوان، بليغاً، مجيد الألفاظ، باهر الإحسان. ثم سيرت الحرة الملكة في الهدايا بدرة، قيمة الجواهر التي فيها أربعون ألف دينار، وشفعت فيه فما هي إلا أن خرج من ذي جبلة بقفص خشب والناس ينظرون إليه فقال: « ما تنظرون؟ أسد في قفص ».

ثم ساروا به إلى أن فارقوا ذي جبلة بليلة، حتى جعلوا في رجله طوبة من مئة رطل حديد وشتموه، وأهانوه؛ وبات في الدهليز عرياناً في الشتاء. وبادروا به من عدن (وسفروه إلى مصر) في جلبة سواكنية؛ وأخرجوا رسولها محمد بن الأزدي بعده بخمسة أيام؛ ثم سفروه؛ وتقدموا على ربان المركب أن يغرقه، فغرق بما فيه على باب المندب، ومات ابن الأزدي غريقاً. فجزعت الحرة على ذلك حيث لا ينفعها ذلك، ودخل عليها سليمان وعمران ابنا الزر شامتين بابن نجيب الدولة، وخرجا من عندها، وهما يقولان: صدق الفقيه في قوله: قال عبدالله بن عباس: « كنا ندخل نسمع الحديث عن عائشة فلا نخرج حتى نعلم أنها امرأة » فكان آخر دخولها عليها.

أخبار الزريع بن العباس بن الكرم اليامي أمير عدن

أما نسبتهم فمن همدان، ثم من جشم بن يام بن أصغى. وكانت لجدهم العباس بن الكرم، سابقة محمودة، وبلاء حسن في قيام الدعوة المستنصرية، مع الداعي علي بن محمد الصليحي، ثم مع ولده الداعي المكرم بن علي، عند نزوله إلى زبيد، وأخذ أمه الحرة بنت شهاب من أسر الأحول، سعيد بن نجاح.

وكان السبب في ملكهم لعدن، أن الصليحي علي بن محمد، لما فتحها و[كان] فيها بنو معن، في عدن، فسار إليهم المكرم ففتحها، وأزال بني معن منها، وولاها العباس ومسعود، ابني الكرم. وجعل مستقر العباس (حصن) التعكر على باب عدن، وهو يجاور الباب، و(جعل له) ما حصل من البر. وجعل لمسعود حصن الخضراء، وهو الساحل (المستولي على البحر)، والمراكب، ويحكم على [٥٨] المدينة، واستحلفها، للحرة الملكة السيدة بنت أحمد، لأن الصليحي كان أصدقها عدن حين زوجها من ولده المكرم سنة ثمان وخمسين وأربع مئة. ولم يزل ارتفاع عدن (من وقت تولية العباس ومسعود) يرفع إلى الملكة السيدة، وهو مئة ألف (دينار، وقد) يزيد، و(قد) ينقص، إلى (أن توفي العباس بن) الكرم. فلما مات المكرم، وفى لها [زريع] بن العباس ومسعود، فلما قتلا على باب زبيد، انتقل أمر عدن إلى ولديهما: أبي السعود بن زريع، وأبي الغارات بن مسعود فتغلبا على الحرة،

[فبعث] المفضل بن أبي البركات إلى عـدن، وجـرت بينـه وبينهما حـروب، كان آخرها المصالحة على نصف ارتفاع عدن.

ولما مات المفضل بن أبي البركات، تغلب أهل عدن على النصف الثاني، فسار إليهم أسعد بن أبي الفتوح، عم الملك المظفر، وصالحهم على ربع الارتفاع للحرة. فلما ثار بنـو الزر في التعكـر، تغلـب أهـل عـدن على الربـع الذي للملكة، ولم يبق لها شيء في عدن لموت رجالها. ولم يقدر ابن نجيب الدولة في ذلك على شيء. فهذه أحوال ملكهم لعدن.

أما أخبارهم فيما شجر بينهم، فإن المفضل بن أبي البركات نزل في بعض غزواته إلى زبيد، وكان معه زريع بن العباس و(ابن) عمه مسعود (بن مسمـع) ابن الكرم وهما يومئذ صاحبا عدن، فقتلا جميعاً على باب زبيد ثم (قام بـ) الأمر بعدهما: أبو السعود بن زريع، وأبو الغارات بن مسعود. ثم ولي الأمر من بعدهما بعدن الداعي سبأ بن أبي السعود، ومحمد بن أبي الغارات، ثم ولد سبأ واسمه علي الأعز المرتضى، ثم علي بن أبي الغارات، ثم الداعي محمد بن سبأ، وعلي بن أبي الغارات آخر بني مسعود. ثم ولى بعد الداعي محمد بن سبأ، ولده عمران، ثم توفي وصفت البلاد بعده لآل زريع إلى أن أخرجهم منها السلطان المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب، في ذي القعدة (سنة ٥٦٩). وكانت بين محمد، وأبي السعود ابني عمران بن محمد بن سبأ.

وقد كان لابن حرابة في عدن نصيب، لا أقوم على حفظه، ولا على تاريخ وقته. وليس في آل الكرم أكرم من عمران بن حرابة، ومن مفضل بن زريع، ودون كرامهما ينقطع الوصف. وبنو الكرم يعرفون بـآل الذيـب، وهـم بعد آل الصليحي بقية العرب باليمن.

ولما مات محمد بن أبي الغارات بن مسعود بن [مسمع] بن الكرم، ولي الأمر من بعده أخوه، علي بن أبي الغارات، وهو صاحب حصن الخضراء المستولي على البحر، وعلى المراكب والمدينة

والداعي الأوحد المظفر، مجد الملك، شرف الخلافة، عضد الدولة، سيف الإمام، تاج العرب، ومقدمها داعي أمير المؤمنين، سبأبن أبي السعودبن زريع ابن العباس بن الكرم اليامي، شريك السلطان علي بن أبي الغارات في عدن، وهو مالك لبابها وما يدخل من البر، وله معقل الدملوة، والرما، وسامع، ومطران، وذبحان، وبعض المعافر، وبعض الجند، وأعماله في الجبال واسعة [٦٠] وله من الأولاد: الأعز علي، ومحمد، والمفضل، وزياد، وروح.

ذكر السبب في زوال علي بن أبي الغارات من عدن وحصولها للداعي سبأ

حدثني الداعي محمد بن سبأ، وجماعة من مشايخ عدن، قالوا: كنا نعرف ابن الخزري أبا القاسم نائباً لعلي بن أبي الغارات، في نصف عدن، والشيخ أحمد بن عتاب الهذلي، نائباً لسبأ بن أبي السعود، في نصف عدن. فانبسط ابن الخزري في قسمة الارتفاع على أحمد بن عتاب، وامتدت أيدي أصحاب علي بن أبي الغارات إلى ظلم الناس، وعاثوا في البلد وأفسدوا، وأطلقوا الأقوال بمذمة الداعي سبأ. وقالوا من ذلك مما يوجب الغيظ، ويثير الحفيظة. والداعي في [أثناء] ذلك مهتم بجمع الأموال والغلات سراً فكان من يلوذ بالداعي في ذلك، يضام ويهتضم. والصولة لأصحاب علي، والداعي في ذلك يحتمل.

وحين كاد احتماله، أن يخرج الأمر من يده، عجز على مناجزة القوم، وقدم قائده، الشيخ السعيد الموفق، بلال بن جرير، فولاه عدن. وأمره أن يهايج القوم، ويحرك القتال بعدن. ففعل بلال ذلك، وكان شهماً [ولم يلبث سبأ] أن جمع جموعاً من همدان، وجنب بن أسعد، وعنس، وخولان، وحمير ومذحج وغيرهم. وهبط من الجبال، [من دملوة]، فنازل القوم بوادي لحج. وللداعي سبأ قرية في هذا الوادي، مسورة، يقال لها: بني أبه. فنزلها ببني عمه آل الزريع، ولبني عمه مسعود بهذا الوادي مدينة أخرى كبيرة، يقال لها: الزعازع، مسورة أيضاً، فخيم كل منهم بمدينته، ثم اقتتلوا أشد القتال.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وحدثني الداعي محمد بن سبأ قال: كنت في طلائع الداعي. فظهر لنا علي بن أبي الغارات، وعمه منيع بن مسعود، ولم تحمل الخيل أفرس من الاثنين، ولا أشجع. فانهزمنا، فأدركنا منيع بن مسعود. فقال لي: يا صبي، قل لأبيك يثبت فلا بد اليوم عشية من تقبيل الجشميات اللاتي في مضاربه فلما أخبرت والدي بذلك، ركب بنفسه، وقال لمن حضر من آل الذيب، وهم بنو عمه الأذنون: إن العرب المستأجرة لا تقدر على حر الطعان، ولا يمسك النار إلا موقدها، فألقوا بني عمكم، فاصطلوها بأنفسكم، وإلا فهي الهزيمة والعار. فألقى القوم. فحمل منا فارس، على منيع بن مسعود فطعنه طعنة شرم بها شفته العليا، وأرنبة أنفه.

وكثر الطعن بين الفريقين، والجلاد بالسيوف، وعقر الخيل، والعرب المحشودة نظارة، ثم حملت همدان، ففرقت بين الناس، وتحاجز القوم. لأن وادي لحج أقبل دافعاً بالسيل، فوقفوا على عدوتي الوادي يتحدثون فقال الداعي سبأ، أو غيره لمنيع بن مسعود: كيف رأيت تقبيل الجشميات، يا أبا مرافع في هذه العشية؟ فقال منيع: وجدته كما قال المتنبي:

والطعن عند محبيهن كالقبل.

فلم يزل الناس يستحسنون هذا الجواب المنيع، لأن الشاهد وافق الحال.

وحدثني الداعي محمد بن سبأ قال: أقامت فتنة الزعازع سنين، وكان علي أخو محمد بن أبي الغارات، في أول الأمر، ينفق الأموال جزافاً، والداعي يمسك، فيكاد الناس أن يميلوا عنا. فلما تضعضعت حال علي بذل الداعي ما لم يخطر بالبال أن يبذله.

ولقد أذكر يوماً أن رجلاً من همدان، دخل على الداعي سبأ، وهو مخيم في الخيمة فقال: أجلني يا ابن أبي حمير، فلم يبق عندها غيري. فقال: إنك تعلم أن الحرب نارة حطبها الرجال، والخيل [illegible] أنا أريد منك أن تدفع لي ديتي،

وهي ألف دينار. ففعل الداعي ذلك. ثم قال: ودية ولدي فلان، وأخيه، فأخذ عنهما ألفي دينار. ثم قال: دفع الله عنك يا أبا حمير، وبقي على الخيل إن عقرت. فقال له الداعي: حتى تعقر الخيل. قال الهمداني: قدم لنا ثمنها، كما قدمت لنا الدية. فدفع له الداعي كيساً فيه خمس مئة دينار. فلما قبض المال قال: وبقيت خصلة ما أظن كرمك يا أبا حمير يردني فيها. قال: وما هي؟ قال: إني عزمت على أن أتزوج فلانة بنت فلان، وأنت تعرف شرف قومها، وليس لي من المال ما يليق أن أقابلهم به، فدفع له الداعي مئة دينار. ثم قال: أنعمت وتفضلت، ولم يبق شيء إلا أنه قبيح بمثلي أن أتزوج، وولدي بلا زواج، فدفع له مائتي دينار، لكل واحد [منهما] مئة.

ثم قام الهمداني، فلما بلغ باب الخيمة، رجع فقال للداعي سبأ: والله لا سألتك حاجة بعد الحاجة التي رجعت لها وهي أن لي بنتاً لا زوج لها، وقبيح بنا أن أتزوج أنا وإخوتها، وتبقى أرملة. قال له: فماذا يكون؟ قال: تدفع لي مالاً أزوجها. فدفع مئة دينار أخرى. ثم تمثل الداعي بقول الراجز:
استنتفت لحية زيد فانتتفت.

وحدثني الداعي محمد بن سبأ، وبلال بن جرير المحمدي قالا: أنفق الداعي سبأ بن أبي السعود، على ابن أبي الغارات ثلاث مئة ألف دينار ثم أفلس. واقترض من تجار عدن الذين ينالونه مثل الشريف أبي الحسن محمد بن أبي العمري. من ولد عمر بن الخطاب، والشيخ أبي الحسن علي بن محمد وابن أعين، وظافر بن فراح وغيرهم، مالا. ثم مات الداعي سبأ، بعد فتحه الزعازع، بعدن لسبعة أشهر. وبقي من المال ثلاثون ألف دينار، وقضاها عنه، الأعز ولده، علي بن سبأ.

وحدثني الشيخ السعيد بلال بن جرير المحمدي قال: لما ملكت حصن الخضراء وأخذت الحرة بهجة، أم السلطان علي بن أبي الغارات، وجدت عندها من الذخائر، ما لم أقدر على مثله. وعدن كلها بيدي، في مدة متطاولة، قال

بلال: وبين عدن ولحج مسير ليلة. فأذكر أني كتبت من عدن بخبر الفتح، وأخذي الخضراء، وسيرت رسولاً بالبشرى إلى مولانا الداعي سبأ بن أبي السعود. وفي اليوم الذي كان فيه فتحي للخضراء، فتح مولانا مدينة الزعازع، فالتقى رسولي ورسوله بالبشرى، وذلك من أعجب التاريخ. والتجأ علي بن أبي الغارات إلى حصنين يقال لهما: منيف والجبلة، وهما لسبأ صهيب، وأعالي لحج [٦٥] وقتله محمد بن سبأ في لحج، هو ومحمد بن مسعود، ورعية بن أبي الغارات في سنة خمس وأربعين.

وأما الداعي سبأ فدخل مدينة عدن، ولم يقم بها إلا سبعة أشهر، كما قدمناه، ودفن بها في سفح التعكر، من داخل البلد، وأوحى بالأمر لولده علي الأعز وكان موت الداعي سبأ سنة ثلاثين [وخمس مئة] بعد موت الحرة الملكة بسنة. وكان الأمير الأعز المرتضى، علي بن سبأ مقيماً بالدملوة، وهم أن يقتل بلال بعدن، فمات مسلولاً. وأوصى الأعز بالأمر لأولاده، وهم: حاتم وعباس ومنصور ومفضل، وكانوا صغاراً. فجعل كفالتهم إلى الأنيس الأعزى وإلى يحيى بن علي العاملَ، وكان وزيره وكاتبه.

وكان محمد بن سبأ قد هرب من أخيه، فاستجار بالأمير منصور بن المفضل بن أبي البركات بتعز وصبر فأجاره: وحين مات علي بالدملوة سير بلال من عدن رجالا من همدان، فأخذوا محمد بن سبأ من جوار المنصور بن المفضل، ونزلوا به إلى عدن، فملكه بلال، واستحلف له الناس والديوان، وزوجه بلال بابنته، وجهزه بأحسن جهاز. فحاصر أنيساً، ويحيى بن علي العامل على الدملوة ثم ملكها وأطاعته البلاد كافة.

وقال أنيس وقد لمته في التسليم للدملوة، والدملوة حصينة: لو لم استأمن من قتلي، قتلني الجواري والنساء بالقباقيب. لأني في أثناء الحصار أسمعهن يقلن: لعن الله هذا العبد، الذي يحتاج ما نحتاجه، كيف يمنع من هو خير لنا منه، يعنين أخا مولاهن محمد بن سبأ.

وكان القاضي، الرشيد أحمد بن الزبير، قد خرج من الأبواب المقدسة بتقليد الدعوة المجيدية، الأعز المرتضى علي بن سبأ، سنة أربع وثلاثين وخمس مئة، فوجد علياً قد مات، فقلد الدعوة [أخاه] محمد بن سبأ، ونعته المعظم المتوج المكين، ونعت وزيره بلال بن جرير، الشيخ السعيد، الموفق السديد.

وكان الداعي محمد بن سبأ كريماً ممدحاً، يثيب على المدح، ويفرح به، ويقترحه، ويكرم أهل الأدب والفضل. وربما قال البيت من الشعر والأبيات.

ورأيته في يوم عيد وقد أحرقته الشمس في المصلى. بظاهر مدينة الجوة والشعراء يتسابقون بالنشيد. فقال لي: قل لهم وارفع صوتك لا يتزاحمون فلست أقوم حتى يفرغوا. وكانوا ثلاثين شاعراً، ثم أثابهم جميعاً.

وأذكر ليلة وأنا عنده. في قصر بالجوة. أريد النزول إلى عدن. وعنده القاضيان: أبو بكر بن محمد اليافعي الجندي، وأبو الفتح بن سهل، وجماعة من خواصه الأعيان مثل ابني قاسم: سبأ ومحمد؛ وهما نيران. وأحدهما طبيب ومنجم وهو محمد، وكان قد اجتمع على بابه أصحاب هذه المدائح، وهم عشرة ثم أخرج القصائد. وقال: ماذا ترون في ثوابهم؟ وقدر الجماعة، فلم يزيدوا على مئة دينار. فقال: اجعلوها ثلاث مئة دينار؛ وهي قليل. ثم نهض وتولينا قيمتها بينهم.

وحضرنا يوماً عنده بقصر الحجر، في موضع يعرف بالجنان، وعنده من الشعراء صفي الدولة أحمد بن علي الحقلي، والقاضي أبو بكر بن محمد اليافعي الجندي، قاضي القضاء، وهو مجيد وله بديهة، لا فضل في الرواية عليها، والقاضي يحيى بن أحمد بن أحمد بن أبي يحيى، قاضي صنعاء، وهو في الشعراء عند أهل اليمن، في طبقة ابن القم. فاقترح الداعي بيتي شعر على وزن قام على خاطر، وشرط لمن سبق مالاً وثياباً كانت عليه، فنشأ الجماعة، فسبقهم القاضي أبو بكر محمد اليافعي، وكان قريباً مني، فسرقت الورقة من يده،

فجعلتها في كمي، وانتحلت بيته، وقمت فأنشدتها الداعي، وأخذت خضلة وسلبته نصله، وفزت بالمال والثياب، ثم فاضت ينابيع كرمه على الجماعة، فما منهم إلا من خلع عليه، وأجزل صلته.

ولما كان في شهور سنة سبع وأربعين، ابتاع الداعي محمد بن سبأ، من الأمير منصور بن المفضل، جميع المعاقل التي كانت لبني الصليحي، وهي ثمانية وعشرون حصناً، ومدائن منها: مدينة في جبلة، وذي أشرق، وأب فأخذها، منه بمئة ألف دينار. ونزل منصور إلى حصني صبر، وتعز، وطلق زوجته الصليحية. وهي أروى بنت علي بن عبدالله الصليحي، وصعد الداعي إلى المخلاف، فسكن بذي جبلة، وتزوج امرأة الأمير منصور بن المفضل، وتزوج أيضاً بنت السلطان بن وائل بن عيسى، الحرة الوحاظية، وأسكنها بدار ابن سباع بعد الصريحين، وأكثر الشعراء تهنئته، وتمدحه بالمعاقل والعقائل، الزوجات المذكورين وطاش فرحاً لما صار إليه، وبسط يده بالعطايا، حتى أذكر يوماً، وقد طلعت صبيحة، أنا والشيخ أبو الحسن بن علي بن الصليحي، والشيخ المرجي الحراني، إلى ذي جبلة، ومن ذي جبلة إلى حصن حب. وكل من رفع إليه رقعة وقع له فيها بما مثاله: العزة لله وحده.

فلما انتهينا إلى الحصن أحصينا الرقاع التي بأيدي الناس، وكان خازن ماله الشيخان: أحمد بن موسى بن الزرالعامل، والشيخ ريحان المحمدي، فجاء مبلغ الرقاع خمسة آلاف دينار. فاستكثرها الشيخ أحمد بن موسى، فقال: نشاوره على ذلك. وقال الشيخ ريحان: أما أنا، فما أكره الحياة. فوالله لئن شاورته على ذلك لأسلمت منه، فدفع لهم المال في ذلك اليوم بأسره.

ومدحه في ذي جبلة القاضي يحي بن أحمد بن أبي يحي بقصيدة فأثابه عليها بخمس مئة دينار، وخلعة. وقدمت من تهامة، وله بيدي مال، كان قد دفعه إلي في بعض أغراضه، وجاءني كتابه إلى زبيد من ذي جبلة يستدعيني إليه، فوصلته فعند مثولي بين يديه، قال: ما أهديت لي؟ قلت: كذا وكذا

من أشياء كنت قد أعددتها له قال: ما أريد إلا الشعر. قلت: والله ما عملت كلمة، ولا أقدر أعملها خوفاً من أهل زبيد، لأنهم ينقمون علي في عمله. فلم يزل يسألني والله حتى أخجلني. واقترحت على الوزن الذي عمل القاضي يحي بن محمد بن أبي يحيى عليه، فلما أنشدته قال: قد كنت أثبت القاضي بخمس مئة دينار وخلعة، وأنا أثيبك مما تحت يدك بمثل ذلك، وأميزك عنه في الخلعة، بثيابي التي عليّ. فقبضت المال والثياب، وكان ذلك أحد الأسباب التي نقمها علي الحبشة، وهموا بقتلي بما وقى الله عز وجل.

ومكارم الداعي محمد بن سبأ أكثر من أن تحصى. ومات في سنة ثمان وأربعين وخمس مئة، وملك بعده ابنه عمران بن محمد بن سبأ، فمنعني أهل زبيد من السفر إليه، وقضى الله بتوجهي إلى ديار مصر رسولاً لأمير الحرمين المعظمين سنة إحدى وخمسين وخمس مئة. فأخذت كتاباً من الملك الصالح إلى الداعي عمران بن محمد، أسأله عن تقسيط المال، الذي مات أبوه محمد الداعي وهو عندي له. وهو ثلاثة آلاف دينار.

فقال لي الداعي عمران بن محمد: ما مضمون كتاب الملك الصالح في المال؟ قال له القاضي الرشيد: تقسيط. قال الداعي: بل يقدم بيتين يقسط على القافية فيه فيسقط. ثم تناول ورقة وكتب فيها ما مثاله: «بسم الله الرحمن الرحيم، أقول وأنا عمران بن الداعي الأجل، سبأ بن أبي السعود بن زريع بن اليامي، أن الفقيه عمارة بن الحسن الحكمي، بريء الذمة من المال الذي درج من يده، لمولانا الداعي محمد بن سبأ، وهو ألفان وسبع مئة دينار ملكية».

ثم فارقت البلاد سنة اثنين وخمسين وخمسمائة، والمسافرون من اليمن إلى الديار المصرية يحكون مكارمه وشدة عزائمه، ما يخجل الدهر إذا كاد، والغيث إذا جاد، ثم مات في سنة ستين وخمسمائة من أولاد هم: محمد وأبو السعود، ومنصور، ومن منهم من أدرك الحلم، إلى هذا التاريخ المذكور وهو المحرم سنة أربع وستين وخمسمائة من الهجرية. صلوات الله وسلامه على صاحبها.

وهذه نبذة حقيرة وفقيرة، إلى التفصيل فقيرة، في أخبار الشيخ السعيد، الموفق السديد، أبي الندى بلال بن جرير المحمدي، وقد قدمنا أنه ولي عدن لمولاه سبأ، ثم أبقاه على الأعز بها، وبقيت في يده من سنة أربع وثلاثين إلى عام ست أو سبع وأربعين. ثم مات والملك عقيم. حدثني الشيخ معمر بن أحمد بن عتاب، والأديب الفاضل أبو بكر بن محمد العيذري، وكانا خصيصين بحاله، قالا: مات بلال عن مال من العين الملكي، ست مئة ألف، وخمسين ألفاً، ومن العين المصري عن ثلاث مئة ألف ونيف، وعن أبهرة من الفضة المصاغ حلى، ومراكب خيل وبغال وسيوف ورماح، وأدوات كتابة، وطشوت، وأباريق، وشمعدانات، ومعاش، ومناخل، وسطول، وطاسات، وحرابيات، وقصب من الفضة، وآلات مرصعة بالذهب، وسكاكين صليحية، وكيزان فضة، وبعليات، ما مقداره خمسة أبهرة ومائتا رطل، وأما الملبوس والبضائع فخزائن ومخازن، وكذلك الطيب وأصنافه، والعدد والسلاح، وتحف الهند، والطاف الصين والمغرب والعراق. ودنانير مصر، وأرض عمان وكرمان. ما لا يدخل تحت حصر.

وانتقل الجميع بوصية إلى مولاه محمد بن سبأ. ففرق ذلك في مدة سنتين في سبيل المروءة والمعروف. وقام بكفالة الأميرين الطفلين ولدي عمران بن محمد، وأخيهما منصور، الوزير أبو الفرج ياسر بن بلال المحمدي، وليس دون أبيه في حزم، ولا عزم، ولا إقدام، فأما الكرم فهو مشهور عنه، مذكور به، منسوب إليه.

هذه أخبار (آل) نجاح ملوك زبيد من الحبشة

لم يزل المؤيد نصير الدين نجاح مالكاً لتهامة، من أعمال ابن طرف إلى عدن، وملوك الجبال تعظم دولته، وتتقي صولته، إلى أن قتله الداعي علي بن الصليحي [على يد] جارية أهداها إليه سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة، وتماسك بنو نجاح بتهامة بعد أبيهم سنتين، والأمر لمولى لهم يقال له كهلان وهم في حد عزم الكمال، وبعضهم دون البلوغ. ولم يلبث الداعي علي بن محمد الصليحي أن أزالهم، وافترق آل نجاح بعد حصولهم في جزيرة دهلك. فأما معارك الأكبر فقتل نفسه غبناً، وأما الذخيرة فكانت حالفة، وأما سعيد الأحول - وهو قاتل الصليحي - و(جياش)، فكانا رجلي البيت، ما منها إلا من تأدب، وعاش وكاثر. ولكن أباهما نجاحاً كان يرشح أخاهما الأكبر للأمر، وهو معارك. وأما جياش فإنه تنكر، ودخل إلى زبيد فاستخرج وديعة كانت له عند عبد الرحمن بن طاهر القيبي وعاد إلى دهلك مدة أيام الصليحي، عاكفاً على العلم حتى برع. وأما سعيد الأحول وهو أكبر من جياش - وهما شقيقان - فكان أمره أعجب ما ذكره. وذلك أنه خرج من دهلك إلى زبيد مغاضباً لأخيه جياش، حين نهاه جياش عن الغدر بصاحب دهلك، واستتر سعيد بزبيد، عند الرئيس ملاعب الخولاني، وهو سوقة، إلا أنه كان أكثر الناس حباً لآل نجاح. واحتفر سعيد بن نجاح نفقاً بين دور

ملاعب، كان يسكنها أكثر الأوقات.

ثم كتب سعيد من زبيد إلى أخيه جياش بدهلك يأمره بالقدوم إلى زبيد، ويبشره بانقضاء دولة الصليحي، وإقبال دولتهم. فلما قدم جياش إلى سعيد، ظهر سعيد من زبيد في سبعين رجلاً، لا فرس مع واحد منهم، ولا سلاح إلا مسامير الحديد مركبة في الجريد.

وحدثني أحمد بن فلاح، صاحب ديوان التحقيق بزبيد قال: لما خرج سعيد الأحول بن نجاح من زبيد. قتل جندياً (على) فرس كان تحته، فركبه. وكان خروج سعيد من زبيد، يريد الصليحي، في آخر اليوم التاسع من ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربع مئة. قال جياش بن نجاح فخرجنا في طريق الساحل، وتركنا الجادة السلطانية، مخافة العساكر أن تلقانا. وبيننا وبين المهجم مسيرة ثلاثة أيام للمجد. وكانت الأخبار قد سبقتنا إلى الصليحي بخروجنا، والأسماع يومئذ قد امتلأت في الجبال والتهايم أن هذا وقت ظهور الأحول سعيد بن نجاح، حتى لا تكاد المساجد والمدارس والأسواق والطرقات، تخلو من الخوض في ذكر ذلك. وكنا نكتم هذا الأمر مخافة على نفوسنا. وسعيد يقسم بالله تعالى: إني قاتله، وإني صاحب الوقت، ويتحدث بذلك مع أكثر الناس. فلما سمع الصليحي بخروجنا، سير من ركابه خمسة آلاف حربة من الحبشة، وأكثرهم مماليكنا وبنو عمنا وقال: خذوا رأس هذا الأحول، ورأس أخيه، ومن معه. وكنا قد سلكنا (طريق) البحر فخالفناهم. ولقد أذكر أن أظلم علينا الليل ونحن بالمراوعة من أعمال الكدراء، فخرج علينا رجل من تلال الوادي وقال: أظنكم عريتم الطريق. فقلنا نعم. فقال: اتبعوني. فما زال بين أيدينا حتى طلع الفجر، ففقدناه، ونالنا التعب، ومسنا ضر من تعب الجوع، بين مسير النهار والليل، رجاله حفاة، وسعيد بن نجاح راجل بيننا، والفرس يجنب وهو يقول: يا صباح الخير والظفر والسرور. ويقول: بادروا الإنسان قبل أن يموت بغير أيدينا في غد، فوالله لا طلعت شمس وهو في الدنيا. ولم يزل يغذ السير، على الوحي واليأس من الرجال: إلى أن دخلنا طريق المخيم،

والناس يعتقدون أنا في جملة عبيد الصليحي وحواشيه. ولم يشعر بأمرنا إلا عبدالله بن محمد، أخو الصليحي، فإنه ركب وقال لأخيه: يا مولانا اركب، فهذا والله هو الأحول بن نجاح، والعدو الذي جاءنا به، كتاب أسعد بن شهاب من زبيد. فقال الصليحي لأخيه عبدالله: إني لا أموت إلا بالدهيم، وبئر أم معبد، معتقداً أنها بئر أم معبد التي نزل بها رسول الله ﷺ، حين هاجر ومعه أبو بكر.

قال مشعل بن فلان العكي: قاتل عن نفسك، فهذه والله بئر الدهيم بن عبس، وهذا المسجد موضع خيمة أم معبد بن الحرث العبسي. قال جياش: فأدركه اليأس من الحياة، فأراق الماء في قباء درقته، ولم يبرح من مكانه حتى قطعنا رأسه بسيفه. وكنت أول من طعنه، وشركني فيه عبد لنجاح، وهو الذي يطعنه، وأنا الذي جززت رأسه بيدي، ونصبته على عود المظلة، وأمرت بضرب الطبول والأبواق، وركبت فرسه الحضرمي المسمى بالدبال. وأما عبدالله بن محمد الصليحي- وكان فارس العرب- فحمل فينا، وقتل منا رجالاً، ثم اعتنقه رجل منا، وسقطا إلى الأرض، ونادى صاحبنا: اقتلوني أنا والرجل، فإن عز قومي رخيص بقتلي. قال: فشكهما سعيد بحربة واحدة، وجز رأس عبدالله بن محمد، وهو يعتقده الصليحي. ثم ركب سعيد فرس عبدالله بن محمد، والرأسان منصوبان أمامه، على باب المسجد الذي فيه السيدة أسماء بنت شهاب زوجة الصليحي، فقال لها: اخرجي فصيحي [وصبحي] على السلطانين، فقالت لا صبحك الله يا أحول بخير. ثم أنشدت ووجهها مكشوفة. قال امرؤ القيس الكندي:

فإنك لم تفخر علينا كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

ثم إن سعيد أرسل رسولاً إلى الخمسة الآلاف، التي قد كان الصليحي قد بعثها من الليل، تقتل سعيد، يقول لهم: إن الصليحي قد قتل، وأنا رجل منكم والعز عزكم. ولم يبرح سعيد على باب المسجد والرأسان منصوبان معه

والطبول تضرب، حتى قدمت العبيد عليهم، فسلمت عليه، وبهم استطار على عسكر الصليحي قتلاً وأسراً ونهباً.

قال جياش: وعزت نفس أخي سعيد من ذلك المقام، وشمخ بنفسه حتى علي، وإني لأخوه ابن أمه وأبيه وذلك أني أشرت إليه أن يحسن إلى السيدة أسماء، ويعفو عمن معها من بني الصليحي، وهم مائة وسبعون سلطاناً، كان الصليحي يخاف منهم، أن ينافقوا [من] بعده ويعفو عمن معها من ملوك قحطان، وهم خمسة وثلاثون سلطاناً، وأن يكتب على يديها إلى ولدها المكرم بن علي الصليحي: إنا أدركنا ثأرنا. واسترجعنا ملكنا وقد أحسنا إليك، وحملنا إليك أمك بصيانة، والعفو عن بني عمك، وقلت له: والله يا مولانا، لئن فعلت ذلك، لا نازعتك قحطان في ملك تهامة، ولئن كرهت ذلك ليهيجن حفائظها ولتطلبن دخولها. فأجابني سعيد بقول الأول من الشعراء:

لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا

ثم أمر بالصليحيين فقتلوا عن آخرهم، رحمة الله عليهم أجمعين، ولقد رأيت شيخاً منهم، التقى الحربة بولده، فنفذت منها جميعاً، نعوذ بالله من جهد البلاء.

قال جياش: لا أنسى رأس الصليحي في عود المظلة، وقراءة المقرئ: ﴿قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء بيدك إنك على كل شيء قدير﴾، ولا أنسى قول الشاعر العثماني من قصيدة ارتجلها في ذلك المقام يصف المظلة:

ما كان أقبح وجهه في ظلها ما كان أحسن رأسه في عودها

ثم ارتحل سعيد إلى زبيد والرأسان معه، بعد ثلاثة أيام من الموقعة، وقد حاز من الغنائم ملكاً عظيماً، ومغنماً جسيماً، ومما غنم: ألفا فرس بعددها،

وثلاثة آلاف جمل بعددها. ودخل زبيد يوم السادس عشر من ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربع مئة، ورأس الصليحي، وأخيه امام هودج الحرة أسماء بنت شهاب، حتى أنزلها بدار شحار، ونصب الرأسين قبالة طاقها. وهرب أسعد بن شهاب من زبيد إلى المكرم بصنعاء. وامتلأت صدور الناس هيبة من سعيد بن نجاح بعد مقتل الصليحي، وتغلب ولاة الحصون على ما في أيديهم من المعاقل، وكاد أمر المكرم أن يتضعضع واستوثق الأمر بتهامة لسعيد، وبعث بالأموال إلى بلاد الحبشة [لـ] من يشتري له عشرين [ألف] حربة. وانقطعت الأخبار بين المكرم، وبين والدته الحرة أسماء بنت شهاب، حتى كان من نزوله وأخذها من زبيد ما قدمنا ذكره. ثم عاد سعيد إلى زبيد فملكها، وأخرج منها ولاة المكرم، ولم يزل مالكاً لها حتى كان ما قدمنا ذكره، من قتله في وقعة حصن الشعر، بتدبير الحرة الملكة السيدة بنت أحمد، زوجة الملك المكرم سنة إحدى وستين وأربعمائة.

ذكر دخول جياش بن نجاح إلى الهند ومعه الوزير قسيم الملك أبو سعيد خلف بن أبي الطاهر من ولد سليمان بن هشام بن عبد الملك

فقال جياش: ثم تنكرت ودخلت إلى عدن، ومعي الوزير خلف بن أبي طاهر. ودخلنا الهند سنة إحدى وستين. فأقمنا بها ستة أشهر، ثم رجعنا إلى اليمن في تلك السنة بعينها، قال: ومن أعجب ما رأيت في الهند، أن إنساناً قدم من سرنديب، ولم يبق أحد إلا فرح به، وزعموا أنه عارف بأخبار المستقبلات فسألناه عن حالنا، فبشرنا بأمور لم يخرم من قوله منها شيء. واشتريت جارية هندية فعلقت مني بالهند، دخلت بها اليمن، وهي في خمسة أشهر. وحين وصلنا إلى عدن، قدمت الوزير خلف زبيد على طريق الساحل، وأمرته أن يشيع موتي في الهند، وأن يستأمن لنفسه، ويكشف لي عن حقيقة أحوالنا، ومن بقي من قومنا بالحبشة. وصعدت إلى ذي جبلة، فكشفت أحوال المكرم بن علي، وما هو عليه من العكوف على لذاته، واضطراب جسمه، وتفويض الأمر إلى زوجته الحرة الملكة السيدة بنت أحمد، ثم انحدرت من الجبال إلى زبيد، فاجتمعت بالوزير خلف. وأخبرني عن أحوال طابت بها نفسي، عن أوليائنا وبني عمنا وعبيدنا، وأنهم في البلاد كثيرون، وإنما يعدمون رأساً يثورون معه، قال جياش: وجريت على عادة الهند، فأخرجت شعر وجهي، وطولت أظافري وشعري، وسترت عيني الواحدة بخرقة سوداء، وكنت قريباً من الدار السلطانية، وإذا افترقت الناس من الصباح، قصدت

مصطبة علي بن القم، وهو وزير الوالي من قبل الملك، المكرم بن علي، فسمعته يقول يوماً: والله لو وجدت كلباً من بني نجاح لملكته زبيد، وذلك لشر حدث بينه وبين الوالي أسعد بن عراف.

قال جياش: وخرج الحسين بن علي القمي الشاعر، وهو يومئذ رأس طبقة أهل زبيد في الشطرنج، فقال لي: يا هندي، تحسن تلعب بالشطرنج؟ فقلت: نعم، فتلاعبنا، فغلبته، فكاد أن يسطو علي. ثم دخل على أبيه فقال له: غلبت في الشطرنج، فقال له والده: ما هنا من يغلبك إلا جياش بن نجاح، وقد مات في الهند. ثم خرج على والد الحسين، وهو طبقة عالية، فلعبت معه، فكرهت غلبه، فخرج الدست مائعاً، فاغتبط بي. وخلطني بنفسه. وهو (كان) في كل يوم وليلة يقول: عجل الله علينا يا آل نجاح. فإذا كان الليل، اجتمعت أنا والوزير خلف، نفترق في النهار، وأنا في أثناء ذلك أكاتب الحبشة المتفرقين في الأعمال، وآمرهم بالاستعداد.

قال جياش: وحين حصلت حول المدينة خمسة آلاف حربة متفرقة في الحارات وداخل البلد قلت للوزير خلف: إن لي عند عمر بن سحيم مالاً، فخذ منه عشرة آلاف دينار وأنفقها في الرجال الذين اجتمعوا. ففعل ذلك، ثم لقيت الوزير ليلة فقلت له: يا مولاي القائد، أتاني (مولاي القائد) حسين ابن سلامة في النوم وقال لي: يعود إليك الأمر الذي تحاوله ليلة ولادة هذه الجارية الهندية، ثم التفت الحسين إلى جانبه الأيمن فقال لرجل معه: أليس كذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ويبقى الأمر في ولدي هذا المولود برهة من الدهر.

قال جياش: ولقد أذكر يوماً أن علي بن القم، عاد يوماً من دار السلطان إلى داره، وهو مغتاظ، فلما سكن غيظه قال: اصعد يا هندي حتى ألعب معك، فلما أن لعبنا جاء الحسين ابنه، فضرب عبداً له بالسوط، فنالني طرفه وأنا غافل، فتعاورت وكانت عادة لي أقولها عند كل مهم يبغتني. وقلت: أنا

أبو الطامي. فقال لي الشيخ: ما اسمك يا هندي؟ فقلت: بحر، فقال: بحر والله يصلح أن يتكنى أبا الطامي.

قال جياش: وندمت وساءت ظنوني بالقوم، ثم قال: فلما أراد الله رجوع هذا الأمر إلينا وتلاعبت أنا والحسين الشاعر ابن القم الشطرنج، وليس معنا إلا أبوه علي، على سرير، وهو يعلم ولده [فـ] قال له أبوه: إن غلبت الهندي أوفدتك على المكرم والسيدة بارتفاع هذه السنة، ودفعت لك الوفادة التي يدفعونها لعامل تهامة، وهي ألوف من الدنانير، فتراخيت له حتى غلبني قصداً في التقريب إلى قلب أبيه، فطاش الحسين من الفرح، فسفه علي بلسانه، فاحتملته لأبيه، وقمت من الغيظ فعثرت فقلت: أنا جياش، على جاري عادتي، ولم يسمعني إلا الشيخ، فوثب علي بن القم خلفي حافياً يجر رداءه حتى أدركني، فأمسكني.

وأخرج المصحف فحلف لي بما طابت به نفسي وحلفت، وليس معنا أحد. ثم أمر بإخلاء دار الأعزبن الصليحي، وفرشت وعلقت ستورها، ونقلت الجارية الهندية إليها [وحمل إليها] الوصائف، وماعون وأثاث. وعاقني عنده إلى أن أمسى الليل، ثم أذن لي بالانصراف، فدخلت فوجدت الجارية قد وضعت (فيما) بين المغرب والعشاء. ولدي الفاتك.

ثم أتاني علي بن القم ليلاً فقال: إن خبرنا لا يخفى على أسعد بن عراف. قلت: إن معي في البلد خمسة آلاف حربة، فقال ابن القم لجياش: قد ملكت، فاكشف أمرك. قال جياش: فإني أكره قتل أسعد بن عراف، فإنه طالما قدر على أهلنا وذرارينا فعفا عنهم، وأحسن إليهم. فقال لي ابن القم: فافعل ما تراه. فضرب جياش الأبواق والطبول، فثارت معه عامة المدينة وخمسة آلاف من الحبشة، وأسر ابن عراف. فقال له ابن عراف ما يؤمنا منكم يا آل نجاح، والأيام سجال بين الناس، ومثلي لا يسأل العفو. فقال جياش: ومثلك لا يقتل يا أبا حسان، ثم أحسن جياش إليه وإلى أولاده خيراً، وسيره بجميع ما ملك من أهل ومال.

قال جياش: وتسلمت دار الإمارة بما فيها صبيحة الليلة التي ولد فيها ولدي فاتك، وصح ما كان أخبرني به الحسين بن سلامة من رجوع الأمر إلي عند ولادة الحامل التي كانت عندي. ثم لم يمض شهر، حتى صرت أركب في عشرين ألف حربة من عبيدنا وبني عمنا الذين كانوا مستضعفين في البلاد، فسبحان المعز بعد الذلة والمكثر بعد القلة. ولم يكن من المكرم بعد ذلك كثير نكاية في جياش أكثر غارات على أعمال زبيد، وفي هذا الحال يقول الحسين بن القم يخاطب جياشاً حين قتل قاضي القضاة الحسن بن أبي عقامة.

أتفـر إذا جـر المكـرم رمحه ‌ ‌ ‌ ‌ وتشبح فيمـن ليس يحلى ولا يمرى

وفيه أيضاً من قصيدة يقولها، يأتي ذكرها:

أخطأت يا جياش في قتـل الحسـن ‌ ‌ ‌ ‌ فقـأت معتـديـاً بـه عين الزمـن

ولم يزل جياش مالكاً لتهامة من سنة اثنتين وستين وأربع مئة إلى سنة ثمان وتسعين وأربع مئة، ثم مات في ذي الحجة منها. وترك من الأولاد: الفاتك ابن الهندية ومنصور وإبراهيم وعبد الواحد والذخيرة ومعارك. وقيل: مات جياش سنة خمسمائة في شهر رمضان منها، والأول أظهر. وولي بعده ابنه الفاتك، وخالف عليه أخوه إبراهيم بن جياش. وكان إبراهيم فارساً جواداً، متأدباً فاضلاً، وخالف عليه أيضاً أخوه عبد الواحد بن جياش. وكان العسكر تحبه وتأمنه، وجرت بينهم وقائع وحروب. واقتسمت عبيد أبيهم عليهم، وآلت الحال إلى أن ظفر فاتك جياش بأخيه عبد الواحد، فعفا عنه وأكرمه وأغناه وأرضاه. وأما إبراهيم بن جياش فنزل بأسعد بن وائل بن عيسى الوحاظي، ففعل معه من الإكرام ما لم يسبقه إليه أحد. وكانت عبيد فاتك بن جياش قد عظمت وكثرت واشتدت شوكتها. [مات] فاتك بن جياش ثلاث وخمسمائة، وترك ولده المنصور بن فاتك صغيراً دون البلوغ فملكته عبيد أبيه. وحشد إبراهيم بن جياش بعد موت أخيه فاتك، وهبط إلى تهامة، فالتقى هو وعبيد فاتك، فتواقفوا على قرية يقال لها.. [هويب من

وادي زبيد].

وحين خلت زبيد من عمال فاتك واستقلوا بابراهيم بن جياش، ثار عبد الواحد بن جياش في زبيد فملكها، وحاز دار الإمارة. وخرج الأستاذون والوصفان بمولاهم منصور بن فاتك [و] أدلوه في سور البلد ليلاً خوفاً عليه من عبد الواحد. ولحق منصور بعبيد أبيه فاتك، وتسلل الناس عنه وعنهم إلى عبد الواحد بن جياش حين ملك زبيد، وكانت العسكر تحبه، ولما رأى إبراهيم بن جياش أن أخاه عبد الواحد قد سبقه إلى الأمر وإلى الحصون بزبيد، توجه إلى الحسين بن أبي الحفاظ الحجوري، وهو يومئذ بالجريب، وبنو أبي الحفاظ من بني حريث بن شراحيل، وهم ينسبون إلى همدان. وأما عبيد فاتك بن جياش ومولاهم المنصور بن فاتك فإنهم نزلوا بالملك المفضل بن أبي البركات الحميري صاحب التعكر، وبالحرة السيدة الملكة بنت أحمد الصليحي بذي جبلة، فأكرمت مثواهم، ثم الزمت عبيد فاتك للمفضل بن أبي البركات، بربع البلاد على نصرتهم على عبد الواحد بن جياش، فأخرجه من زبيد وملكها لهم [وذلك في سنة أربع وخمسمائة].

وهم المفضل أن يغدر بآل فاتك ويملك البلاد عليهم، حتى بلغه أن حصن التعكر قد ملكه جماعة من الفقهاء، واستولوا على ملك لا ينبغي مثله لأحد. ففارق المفضل زبيد لا يلوي على أحد، حتى كان ما قدمنا ذكره من قتله نفسه بالسم لما نظر إلى حظاياه بين الرجال، وهن في المصبغات والطارات بأيديهن وهن يغنين.

ثم إن الأمر استقر لمنصور بن فاتك ولعبيد أبيه، فمن أولاد فاتك الأمراء ومن عبيده الوزراء. فأما الأمراء فمنهم المنصور بن فاتك ثم فاتك بن المنصور، وهو ابن الحرة الصالحة الحاجة، ثم لما مات فاتك ولد المنصور، انتقل الأمر (ولم يكن له عقب) إلى ابن عمه، واسمه أيضاً الفاتك بن محمد (بن منصور) ابن فاتك بن جياش. وانتقل الأمر إلى فاتك بن محمد هذا (ولم يزل إلى أن

قتله عبيده في) سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. وعنهم زالت الدولة، وانتقلت إلى علي بن مهدي الخارج باليمن سنة أربع وخمسين وخمسمائة. ولم يكن لأولاد فاتك بن جياش من الأمر سوى النواميس الظاهرة من الخطبة لهم من بني العباس، والسكة والركوب بالمظلة في أيام المواسم. وعقد الآراء في مجالسهم. وأما الأمر والنهي والتدبير وإقامة الحدود وإجازة الوفود فلعبيدهم الوزراء.

فهم عبيد فاتك بن جياش، وعبيد منصور ابنه، وهم وإن كانوا حبشة، فلم تكن ملوك العرب تفوقهم في الحسب إلا بالنسب، وإلا فلهم الكرم الباهر والعز الظاهر، والجمع بين الوقائع المشهورة، والصنائع المذكورة.

وأول من وزر منهم أنيس الفاتكي وكان من بطن في الحبشة يقال لهم الجزليون، وملوك بني نجاح من هذا البطن، وكان أنيس هذا جباراً غشوماً، مهاباً شجاعاً، مشهوراً، جواداً، وله في العرب وقعات تحاموا تهامة من أجلها. ثم طغى أنيس هذا، وبنى داراً واسعة رضية، عرض كل قاعة منها ثلاثون ذراعاً، وعرض كل مجلس أربعون. وهي قصور واسعة، وعمل لنفسه مظلة الركوب، و(ضرب) سكة باسمه، وهم أن يفتك بمولاه المنصور. فاشتهر الأمر والنهي والتدبير من ندمائه، لعبيد فاتك، فدبروا عليه الرأي، حتى حمل منصور بن فاتك (وقد بلغ مبلغ الرجال) مولاهم، لهم وله وليمة في قصر الإمارة، واستدعى أنيساً إليه، فلما حصل عنده قطع رأسه، واصطفى أمواله وحريمه. فمن صار إليه بالابتياع من ورثة أنيس، جارية مغنية يقال لها علم. واستولدها منصور ولداً يدعى فاتكاً، وهي الحرة، الصالحة التي كانت تحج بأهل اليمن براً وبحراً في خفارتها من الأخطار والمكوس.

ومن جملة الوزراء بعد أنيس هذا: الشيخ من الله الفاتكي، وهو الذي سور زبيد بعد الحسين بن سلامة، وأفعاله مستوثقة له وعليه. فأما الذي له فالكرم الباهر، والشجاعة والهيبة، وهو الذي كسر ابن نجيب الدولة على باب زبيد، وقتل من أصحابه مئة من العرب، وثلاث مئة أرمني رماة، وخمس مئة سود

(وذلك في آخر سنة ثماني عشرة وخمس مئة). وله وقعة أخرى مع أسعد بن أبي الفتوح، وقتل فيها من العرب ما ينيف على الألف. وهو الذي تصدق على مدارس الفقهاء الحنفية والشافعية بما أغناهم عمن سواهم من الأراضي والمرافق والرباع.

وكان يثيب على المدح ثواباً جزيلاً، حتى قال الفقيه أبو عبدالله محمد بن علي السهامي رحمة الله عليه وكان يؤدب أولاد الوزير من الله قال: أذكر أني جلدت مما مدح به القائد الوزير عشرة أجزاء كبار من شعر المجيدين المشهورين والمشاهير. وهو الذي أخرج أحمد بن مسعود الجزلي مفلح الفاتكي. وكانا كبشي الكتيبة، وصاحبي الحل والعقد بزبيد، فشردهما خوفه في الجبال كل مشرد. وبخروجهما دانت له الدنيا، وعلت كلمته. وأما الذي عليه من أفعاله، فإنه لما وزر بعد قتل أنيس (على يد) منصور بن فاتك بن جياش سنة سبع عشرة وخمس مئة، فلم يقدم شيئاً سوى أنه قتل منصوراً مولاه بالسم، وملك ابنه فاتك بن منصور، وهو يومئذ طفل صغير.

وكان منصور بن فاتك وأبوه فاتك بن جياش، وغيرهما من آل نجاح عن أكثر من ألف سرية ما منهن أحد تسلم من الوزير من الله. إلا عشر نساء من حظايا منصور بن فاتك. منهن الحرة الملكة أم فاتك بن منصور، فإنها اعتزلت القصر وخرجت خارج المدينة، وبنت لها داراً لا يتطرق إليها الوزير بعذر ولا بسبب. هذا والملك ولدها، ولكنها حسمت المادة بالبعد عن قصر ولدها، ووكلت كفالته إلى عبيد أبيه الأستاذين، ومنهن أم أبي الجيش وهي مولدة (وكانت لها بنت من منصور بن فاتك، فلهذا قيل لها الحرة بسبب هذه البنت). وكانت فائقة بالجمال وحسن الغناء. وأنا أدركتها، وكنت أدخل إليها، وأقعد بين يديها، في رسائل كانت تجري بينها وبين السلطان عبدالله بن أسعد بن وائل الوحاظي، لأنه (كان قد) تزوج بنتها التي كانت رزقتها من منصور بن فاتك. ومنهن الحرة رياض، ومنهن الحرة أم أبيها. ومنهن جنان الكبرى، ومنهن تمنى. ولم يكن لأم فاتك ضرة سواها. ولما أراد الله هلاك من

الله الفاتكي، حاول بنت معارك بن جياش وراودها، وكانت موصوفة بالجمال. فافتدت نفسها منه بأربعين بكراً من جواريها. فأبى، فكشفت أمره إلى عبيد عمها فاتك، وعبيد ابن عمها منصور بن فاتك،. فهابوه، ولم يقدروا على شيء. فقالت لهم الحرة أم أبي الجيش: أنا أكفيكم أمره. ثم استخرجت ابنة معارك بن جياش من قصر الإمارة إلى قصرها. ثم أرسلت إلى من الله تقول له: إنك أسأت السمعة عليك وعلينا فيما تقدم، ولو كنت أعلمتني، خدمتك أتم خدمة، ولم يعلم بك أحد. ففرح الوزير بذلك، وتواترت الرسائل بينه وبينها حتى قال: فأنا أزورك في هذه الليلة إلى دارك متنكراً، قالت لرسوله: إن الله قد أجل قدر الوزير عن ذلك، بل أنا أزوره في داره. فلما أمسى الليل جاءت إليه فغنت له، وشرب وطرب، ومكنته من نفسها، ثم وقع عليها ومسحت ذكره عند الفراغ بخرقة فيها سم قاتل، فتهرأ ومات من ليلته، فدفنه ولده منصور في اصطبله وسوى به الأرض، فلم يعرف له قبر إلى اليوم. وكانت وفاته ليلة السبت الخامس عشر من جادى الأولى سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

ثم وزر بعده لفاتك بن منصور، زريق الفاتكي، وكان شجاعاً كريماً. أما شجاعته فقال لي محمد بن عبدالله اليافي ثم الحميري- وكان كاتب رزيق- قال: (رأيت) زريقاً الفاتكي يوم الجمعة (وكان يوماً مشهوداً بينه وبين القائد أبي محمد مفلح) وكان لمفلح على أهل زبيد، وقد اشتجرت فيه سبعة أرماح، وهو مضاعف درعين، فحص أكثرها بسيفه، واندق فيها منها رمحان وهو ثابت في سرجه. ومفلح ينادي به: أعقروا صاحب الفرس، وإلا فما يسقط على الأرض ثم حمل على مفلح فضربه ضربة على مقعد الرديف في فرس مفلح فقسمت الفرس نصفين، وسقط مفلح، ورد عنه بنو مشعل، وهم عرب.

أما كرمه فكان أكثره على الشعراء، ولم يكن في زمانه من يقدر على ما يقدر عليه من الأكل، حتى كان يضرب به المثل. فكان له بين ذكور وإناث، ثلاثون ولداً (فلما توفي) تناسخت فريضته، وفريضة من مات من

أولاده وأولادهم قبل القسمة. فانتشرت واتسعت حتى لم أجد من العلماء على قسمتها. وكان الوزير مفلح والوزير إقبال، والوزير مسعود الفاتكيين، قد أراد كل منهم أن يبتاع من ورثة زريق أراضي ورباعاً. فلم يصلوا إلى ذلك، لعدم القدرة على (معرفة) صحة سهام كل وارث. ولما كان في سنة تسع وثلاثين، وجدت في عدن شيخاً من أهل حضرموت يسمى أحمد بن محمد الحاسب، وكان حاسباً فرضياً، قد جاوز الثمانين، وهو يريد الحج. وكان ذا ضرورة. ولم يملك منذ خلقه الله عشرة دنانير، ولا يصدق من يقول: رأيت ألف دينار. لأنه كان ناشئاً في بلاد كندة فيما يلي الرمل. فانكسر مركب في ساحل البحر المجاور، فوقع منهم إلى رمل كندة، رجل عالم زاهد، وهذا الشيخ أحمد هو الفرضي. فأخذت هذا الفقيه إلى منزلي بعدن، فكسوته وأمرت من كان معي بإكرامه وإطعامه، وتنظيفه من الفضلات، وخضاب لحيته وأطرافه بالحناء. فلما حسنت حاله عادلني في محمل من عدن إلى زبيد، ووعدته أني أحج به معي، وأكفيه ففرح بذلك ووثق به، وسكن إليه وذاكرته ليلة ونحن على الجمل فريضة بني رزيق، وهي إحدى وخمسون بطناً، فاندفع فيها كأنه يحفظها غيباً، حتى طلع الفجر، ولم يأخذني نوم لفرط المسرة بعلمه. ثم قال: إن شئت أن تترك السفر هذا اليوم وتقيم على هذه البئر، ولم أصل صلاة الظهر حتى قد صححت الفريضة، وعرفتك سهام كل واحد من الورثة على الانفراد. ففعلت ذلك. فناولني الفريضة مكتوبة بخطه عند الغداء ووالله لقد طال ما اجتمع عليها عثمان بن الصفار، ومحمد بن علي السهامي ونظراؤهما من الفرضيين، وما منهم إلا من يرى أن ابن اللبان [٨٠] من أتباعه في الفرائض والوصايا والدور والجبر والمقابلة. وفي الزمان المتطاول، كانت تصنع الوزراء لهم الولائم، ويسعون لهم في الصلات، يفترقون فيها على غير شيء.

ولما وصلت زبيد، أسكنت الفقيه في آخر الدار، بحيث لا يراه أحد غيري، وكنت بالليل أقرأ عليه الفرائض، وبالنهار أقرأ عليه حرف أبي عمرو بن العلاء في القرآن العظيم. وكان فيما يقرؤه القراءات السبع، ثم أخذت

أكرر المسألة التي لأولاد رزيق، إلى أن صرت أتحدث بها مع نفسي غيباً. ثم تقدمت إلى القائد سرور الفاتكي، فأدعيت عنده معرفتها، وهو من أشد الناس حرصاً على الابتياع من آل رزيق، وقال: إن صحت دعواك دفعت لك كذا وكذا مبلغاً، قد أنسيته فلما صحت أحضر المال، فدفعه إلى الفقيه أبي محمد عبدالله القاسم الأبار، فهو رأس الشافعية يومئذ بزبيد، وعليه قرأت المذهب الشافعي. ثم جمع الفقهاء إلى قاعات أرضية مفروشة بحر الرمل وجلس كل قوم يضربون الرمل، ناحية من غيرهم، فإذا صح لهم بطن نقلوه من الرمل إلى الورق، إلى أن صحت لهم الفريضة جميعاً. ولم يبرح من هنالك حتى قسم المال بين الفقهاء، وأجزل نصيبي منه. ورجعت إلى منزلي، فأحضرت المال إلى الفقيه الحضرمي فقال: أستغفر الله يا ولدي وقد كنت أكذب من يقول إنه رأى مئة دينار، ثم دفع المال إلي. وقال: لا حاجة لي به، وأنت تكفيني، فحملته. ومات رحمة الله عليه بعد أن قضى الحج.

ولما همت الحبشة بزبيد بقتلي سنة خمسين، قال لهم القائد سرور: أليس هو صاحب مسألة رزيق، والله لا يقتل، أما رزيق فلم يكن له نفاذ في سياسة العكسر، ولا خبرة في إقامة نواميس السلطنة فلم يلبث في الوزارة مدة، حتى استقال منها واستدعى لها الوزير أبو منصور مفلح الفاتكي.

وزارة مفلح الفاتكي

أما جنسه فبطن الحبشة يقال لهم: سحرت، وكان يكنى: أبا المنصور، ومنصور ولد له. وكان (أبو) منصور هذا رشيداً من الأعيان أهل الخبرة والفقه والأدب، والصباحة والشجاعة والسماحة والرياسة الكاملة. وكان الناس يقولون: لو كان له نسب من قريش كملت له شروط الخلافة. وكان عبيد فاتك ينبذون مفلحاً بالبغل. فكان يقال له مفلح البغل، لأنه كان يدلي آلة مثل التي يدليها البغل، وكان مع ذلك عفيف الذيل، ولم يعلم له صبوة في صغر ولا في كبر.

قال حمير: ولقد أذكر يوماً من عفافه، أنه دعاني وهو وزير فقال: قد تنكد علي العيش، بسبب ما أسمعه كل حين من غناء وردة جارية الأمير عثمان الغزي، و(ما) يوصف لي من جمالها. ولقد استدت على أبواب الحيلة في حصولها عندي. قلت: إن كنت تريدها سفاحاً بذلت وسعي في خدمة الوزير. فقال: والله ما عصيت الله تعالى بفرجي منذ خلقت. قلت: فبكم يشتريها الوزير؟ قال: بكل ما يقترح مولاها، وكان مولاها أميراً جليلاً، كبير القدر، له وجاهة ومنزلة في الدولة. ثم هو مقدم الغز الذين استدعاهم الملك جياش لمحاربة سبأبن أحمد الصليحي، وعثمان هذا أميرهم وشيخهم، وهم أربع مئة فارس رماة، وبهم امتدت دولة الحبشة على العرب.

وكان الملك جياش استدعى منهم ثلاثة آلاف قوس، فلما فصلت عن مكة منهم ألفان إلى زبيد ندم على رأيه، وعلم أنهم يخرجونه من البلاد ويستولون عليها. فتقدم جياش على الولاة الذين أمرهم علي الغز بمكة، أن يطرحوا لهم السّموم فيما يأكلون ويشربون ويلبسون، فمات فيهم بشر كثير، وخلص منهم إلى زبيد ألف فارس أو دونها. فجهز منهم خمس مئة إلى الجبال، ففتحوا فيها ما وطأ الحافر، ولما حصلوا في كور صنعاء، دس عليهم جياش من قتلهم بالسم، وفرق كلمتهم بالحروب والأموال.

وبقيت عنده بتهامة أربع مئة وخمسون فارساً، فأقطعهم من واسع الأعمال إلى واد يقال له ذؤال، ورعيته عك والأشاعر، وعرضه يوم، وطوله من الجبل إلى البحر يومان أو دونهما. وبينه وبين مدينة زبيد يوم واحد. ولم يزل الغز يستأدون خراج هذا الوادي من سنة ست وثمانين وأربع مئة إلى سنة أربع وعشرين وخمس مئة، فأثرت الغز وحسنت حالهم وتملكوا و[كانت] رياستهم تنتهي إلى [ثلاثة نفر وهم] سولى وطيطاس وعثمان هذا. ثم مات الاثنان وبقي عثمان هذا. ولم يبق في الغز إلا مئة فارس شيوخ. وأما أولادهم المولودون بزبيد فلم يفلحوا، ولا جاء منهم بأس يتقى ولا معروف يرجى.

قال الشيخ حمير بن أسعد كاتب الوزير: ففكرت في حيلة أتوصل بها إلى غرضه فوجدتها وهي: أني قلت للوزير بأمر ينقض قسمة الأعمال القديمة، فإن الرجال التي كانت تنفع ماتت، وبقيت الأقطاع الجيدة في أيدي أولادهم الذين لا ينفعون وتصلب في ذلك، وتقدم على الناس بالحشو من الأعمال إلى زبيد، وتنقل [كل قوم إلى عمل آخر غير عملهم]. قال حمير: فلما فعل ذلك الوزير ضاق الأمر على جماعة من أكابر الدولة ولا كضيقة على عثمان الغزي. فإن أموال الغز الذين ماتوا في رفقته صارت إليه.

فلما كاد عثمان أن يخرج من زبيد فيمن معه من قومه، ويشق العصا دخلت عليه، وشربت معه، وغنت له وردة وغيرها ممن عنده. ولم يكن أحد

من أهل تهامة يحجب عن حمير. لا مغنية. ولا أم ولد لأن أكثرهم سراريهم ومغنيهم من تخريجه وتربيته في داره. وخدم جماعة من ملوك الجبال، ثم نزل إلى تهامة، فاختص بصحبة أحمد بن مسعود بن فرج المؤيد صاحب حيس. ثم كتب بعده للشيخ من الله الفاتكي، ومن عند حمير هذا يبتاع السم الذي يقتل له الملوك، لأن له إخوة وأعمام في بلاد بكيل وحاشد. (لا) ينبت هذا الشجر في بقعة من الأرض لبيت هناك (إلا) لهم، وهي من حصونهم. وهم يحتفظون بها كما يحتفظ للديار المصرية بالشجر الذي فيه دهن البيلسان وأوفى.

وكل من مات من بني نجاح ووزرائهم، فمن عند حمير بن أسعد، حتى كانوا إذا نادموه قالوا له: يا أبا سبأ، نأكل ونشرب ونحن في حبسك، فيضحك ويقول: نعم. وكان حلو المحاضرة، كثير المحفوظات، حسن النادرة، كثير البذل في ذات الله، وفي سبيل المعروف، يترسل بين الملوك من الحبشة فيرقع الخلل، ويهون الجلل، ثم سكن الكدراء عند القائد إسحاق بن مرزوق السحرتي، فأكرمه وخلطه بنفسه، وبها مات، سنة ثلاث وخمسين، وقد جاوز السبعين. وكان ينزل عندي إذا دخل زبيد وعند غيري من أصدقائه، ولم يكن بها أهله، وبهذا السبب يسترسل معي.

قال حمير: فلما أخذت النشوة من عثمان مأخذها قال لي: كنت حريصاً على لقائك طمعاً في صلاح أحوالنا مع هذا العبد الطاغي، وتركنا على إقطاعنا وأملاكنا التي لم نعد نستفدها في أيامه، ولا من إنعامه. قلت. نعم (إنه) مع ما فيه من الإعجاب والتكبر، وحسن الباطن، قريب الرجوع، وأنا أجتهد في غد إن شاء الله تعالى، إذا عاد من الصباح على مولانا أن يطيب صنعاً عندك. وأنا أعلم أنه إذا أكل طعامك و(شرب) شرابك، وغنى له جواريك استحى منك وخجل. وعاد عما في نفسه. فكاد عثمان أن يطير فرحاً، ولم يصدق أن الوزير يزوره، وأشرت على عثمان، أن يتطفل في الليل على الوزير ويركب إلى داره ويقول: ضيف يشتهي أن يتشرف بالسماع

والشراب. فلما أمسينا، ووصل عثمان إلينا، أشرت على الوزير أن يخرج المغنيات والوصائف الساقيات علينا، ففعل ذلك. ووعده الوزير أنه في غد (يكون) ضيفه. فحمل إلى عثمان في تلك الليلة مالاً جزيلاً، وعدنا من الركوب من دار مولانا إلى دار عثمان فوجدنا أسمطة واسعة، عددت في (قود) واحد (منها) ثلاثين خروفاً مشوياً، وثلاثين جاما من الحلاوة. وأما الذي جلس عليه الوزير فكان في طول قاعة البستان الذي لعثمان، وهي خمسون ذراعاً. فلما رأى الوزير ذلك، امتعض حسداً لعثمان على همته، وسرعة ما تأتى له من تلك الأسمطة وكانت أربعة. ثم فرق عثمان على حواشي الوزير خمس مئة خروف، وأنهب العسكر تلك الأسمطة، وفرق على حواشي الوزير ثلاثة أبهرة سكر، وهي تسعة قناطير. ثم انتقلنا إلى مجلس الوزير وكنا سبعة. فلما انصرفوا قلت لعثمان: إنك بهيمة لا عقل لك، أترى الوزير إنما زارك لأكلة أو شربة؟ ما أقصر همتك، وأعمى بصيرتك، قال: فدبرني. أعرض علي ما عندك. فذكر الخيل والعدد والجمال، والألطاف والذخائر، فأظهرت له في كل شيء نقيصة، وقبحته عليه. قال: فما ترى، قلت: انظر هدية لا تخبأ في الخزائن، ولا تغيب عن عينه، فإن المقصود أن يذكرك، بهديتك كلما نظر إليها. قال: ما عندي سوى وردة: وهي روحي فإن كانت تصلح له نزلت عنها، ولو أني أموت. قلت: إن قبلها فهي مما تصلح له. قال: فتحدث معه فيها، فإن قبلها فلك عندي ألف دينار، ثم أمرنا بإحضارها، عاشرة عشر، فقبلنا يد الوزير، ثم اندفعن يغنين بين يديه مكشوفات الوجوه. وأوصيت الوزير أن يعرض عن وردة ويستحسن غيرها. ففعل ذلك مما قوى عزيمة مولانا في قبولها منه. فلما سكر عثمان ونام، وسكر النسوة إلا وردة، فإني كنت أريد صحوها، قمت إلى المستراح، فاستدعيت وردة فأعلمتها القصة فقالت: لا أرغب إلا في مولاي. فاستدعيت الوزير إلى مجلسي، ودخلت أنا ووردة عليه. فوعدها ومناها، وهممت بالخروج عنهما، فأمسكني وقال: والله لا يكون هذا أبداً. ثم عدنا جميعاً إلى المجلس، ووالله

ما ملأ عينيه منها، ولا مكنها [من تقبيل] يده عند السلام. فلما صحا مولاها. استأذناه في الخروج، وكان [ذلك] عند العشاء الآخرة. فلم نخرج إلا وورده في أيدينا. فأما عثمان: [فلما] أصبح أعدت عليه الألف دينار التي كان دفعها إلي، وسألته في ضيعة ذؤال. وأما الوزير فأحضرني ليلة وخلع علي وقال: إن بنتك وردة أقسمت علي، لا دنوت منها، حتى ترضي حمير، فما الذي يرضيك؟ قلت: ضيعة العبادي بما فيها من زروع، وما لها من أبقار، فوقع لي بها وهي الضيعة التي لا ضيعة على مالكها.

ونعود إلى أخبار الوزير مفلح: فمنها ما حدثني به الشيخ أبو الطامي جياش بن إسماعيل بن البوقا قال: قدم علينا إلى زبيد في أول وزارة الشيخ مفلح أبي المعالي ابن الحباب من الديار المصرية، فابتاع وصيفاً حبشياً برسم الخدمة، ثم هرب الوصيف [وعلق] بسبب غلامه بيتين من الشعر هما:

وأنت سحاب طبق الأرض صوبه وعاقته عن سقياي إحدى عوائقه
فإن لم تجد في هاطلات غمامه فلا تدن مني محرقات صواعقه

فلما وقف مفلح على البيتين عثر بها وتنبه على الفضل أبي المعالي، واستدعى الغلام فرده إليه خامس خمسة من جنسه. ثم استدعى أبا المعالي وأمره أن يمدح الوزير بقصيدة ففعل ذلك، ثم أحضره إليه حتى أنشده ودفع له خمس مئة دينار، ووصله أيضاً منصور بن مفلح من عنده بثلاث مئة دينار ثواباً على قصيدة أخرى مدحه بها، وحمله إلى مكة حرسها الله تعالى.

وأما أحوال مفلح مع العسكر، فإن قصر الملك فاتك بن منصور نشأت به رجال من عبيد الحرة الملكة، أم فاتك بن منصور هم: صواب وريحان ويمن وعز وريحان الأكبر. هؤلاء الأزمة أعيان أكابر. ومن الفحول إقبال، ومسرور، وبارة، وسرور، وهو أمير الفريقين مكانة وغنى.

وكان هؤلاء الجماعة هم الذين يتكلمون على لسان السلطان. وصار الوزير في أموال السلطان أجنبياً معهم، وعظم بهم جانب الحرة. واستمالوا كثيراً من

الفارس والراجل. ثم دبروا حيلة يخرجون بها مفلحاً من زبيد. فقال لهم سرور: ما عندكم حيلة أحسن من مخاطبته على حج مولاتنا الملكة وتجهيزها بثلاثين ألف دينار. فلما أرسلوا إليه في ذلك امتنع وقال: صرف المال إلى أعداء الدولة أولى من هذه الخرافات، ولمولاتنا بالمغزل، ولزومها كسر بيتها شغل شاغل [عن الحج] ولم يزالوا يراجعون في ذلك إلى أن قال: مولاتنا إلى غير هذا محاجة، فانظروا لها فيه فإنه يسليها. قالوا: وما هو؟. قال شيء في طول هذا. وقبض كفه ومد ذراعه. فحدث في النفوس من هذه الكلمة شر لم يستدركه مفلح إلا بالإذن لها في الحج وتجهيزها بثلاثين ألف دينار، وتسيير ولده منصور معها إلى مكة.

ثم كان من تدبير سرور على خروج مفلح، تسييره إلى عدن لمحاربة سبأ بن أبي السعود وعلي بن أبي الغارات الزريعيين، فلما خرج مفلح من زبيد على الليلة، ثار محمد بن فاتك [بن جياش] في زبيد على الحرة وولدها. فقضى ذلك برجوع مفلح إلى زبيد. ثم دبر سرور على خروج مفلح أنه كاتب عرب الزعلي، والعمراني بالاتفاق على أعمال المهجم، وفيها يومئذ القائد مسعود الزبيدي فقضى ذلك بخروج مفلح إلى المهجم، وهي من زبيد على ثلاثة أيام [من الناحية الشمالية] فما هو إلا أن خرج مفلح من زبيد مسير ليلة من البلد، حتى تسلل الناس عنه، ورجعوا إلى المدينة، وبقي في خاصته، وتوجه إلى جبال برع، وملك حصن المكرشة راوح تهامة، وغاداها بالغارات، وعبيد فاتك تقاتله بالمراكز والأموال، ثم انتقل من الحصن وترك به حريمه [وسار] إلى عرب المهجم وهم بنو مشعل وعزان وزعل، وهم الفرسان والأنجاد، فأسكنوه حصناً لهم يقال له دبسان وبينه وبين المهجم نصف يوم أو دونه، فشن الغارات على أعمال المهجم.

ثم كاتب الأمير الشريف غانم بن يحيى السليماني ثم الحسني. وهو يومئذ ملك مخلاف (سليمان) بن طرف، واشترط مفلح للشريف ولبني عمه إسقاط الإتاوة عنهم، المستقرة لصاحب زبيد، على غانم في كل سنة، ومبلغها ستون ألف

(دينار)، وأن يضيف لهم مفلح إلى ذلك، أعمال الواديين، وهي واسعة. فسار الشريف في ألف فارس وعشرة آلاف راجل ناصراً لمفلح على أهل زبيد. فلقيهم القائد سرور، فكسر مفلح وكسر الأشراف، وكسر العرب على المهجم وخرج إليه من زبيد -وهو مقيم بالمهجم- تقليد بأعمال المهجم، وما معها من الأعمال، وهو مور والواديان، فاستقر سرور فيها. وعاد مفلح إلى حصن الكرش فمات بها سنة تسع وعشرين وخمس مئة. فخلفه ولده منصور بعد أبيه، فناوشهم حرباً، وأذاقهم من الشر ضروباً، ثم خذله أصحابه وتفللوا عنه، وسئم الناس عصن الحديد وفراق الأوطان فاستأمن (على يد القائد سرور ودخل معه زبيد، والوزير يومئذ إقبال، فخلع) على منصور، وأنزله في دار أبيه. فلما كان من الغد؟ قبض عليه وقتل ليلاً بدار الوزير إقبال، فأنكر الملك فاتك (والقائد سرور) ذاك. وهم (بالوزير) ثم أبقاه على دخن

قال حمير بن أسعد: فابتاع مني رسول إقبال سما، والله ما علمت لمن هو. وتلطف إقبال حتى سقى مولاه فاتكا -ولد الحرة- ذلك السم، فمات فاتك بن منصور في شعبان (سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة.

قالت وردة جارية الوزير مفلح: ولما مات مولاي في الجبال بحصن الكـرش أو مكرشه خطبني الوزير إقبال، والقائد سرور، والقائد إسحاق بن مرزوق، والقائد علي بن مسعود صاحب حيس فوعدت رسول كل واحد منهم وعداً جيلاً، وشاورت مولاي منصور بن مولاي مفلح في رسائل القوم. فأشار (علي بـ] سرور وقال: استظهري بمشورة الشيخ حمير بن أسعد: فاستدعيه من تهامة إلى الجبال. فقال: أما علي بن مسعود فعنده تسعون سرية وأربع زوجات. أما إقبال فعنده عشرون مغنية ثم عنده ناجية (وهي من) تربية التجار ونجلها منصور بين عينيه إلى هذه الغاية. وأما القائد إسحاق بن مرزوق فعنده ابنة عويد أم ولده فرج، وعنده ابنة عمه أحمد. ولا والله ما تمشي بأرض تهامة مثلها. ولكني أشير عليك بالقائد أبي محمد سرور الفاتكي، فإنه واسع النعمة، ثم هو تربية الملك فاتك بن منصور، وتربية مولاتنا أم فاتك بن منصور.

قالت: فتزوجني القائد أبو محمد سرور الفاتكي، فوجدت رجلاً مشغولاً عن الدنيا، وعن النساء، وعن التنعم، بالنظر في معالي الأمور، فلم أزل به حتى حللته، وتدرجت في عشرته حتى ملكته، فكان على خشونته ويبسه وهيبته وانقباض جواريه منه لا يخالفني فيما آراه، وإذا غضبت عليه، كاد أن يفارق الحياة، ودليل ذلك ما حدثني به الشيخ مسلم بن يشجب وزير الأمير الشريف غانم بن يحيى الحسيني قال: قدمت من بلادي رسولاً إلى القائد سرور الفاتكي في عقد هدنة بيننا وبينه فقال لي وزيره عبيد بن بحر: ليت قدومك تقدم أو تأخر، فإنك صادفت القائد مشغولاً خاطره، فأقمت يومين أو ثلاثة أيام. ولما لم أجتمع بالقائد قدم علينا حمير بن أسعد فقال لي عبيد بن بحر، وزير القائد سرور: الآن انحلت عقدتك بعد قدوم حمير. قلت فكيف ذلك؟ قال: إن أم عمرو وردة ساخطة عليه وأقسمت لا تكلمه، ولا تأذن له في الدخول عليها حتى يأتي أبوها، وهو الشيخ حمير بن أسعد. قال مسلم: ولما كان في تلك الليلة، دعينا إلى مجلس فيه شراب وغناء وطيب، فجلسنا، وإذا القائد قد طلع علينا، فسلمنا عليه، ثم سمعنا من خلف الستارة جلبة وجرس حلي لم يكن. وإذا هي وردة، أصلح حمير بينها وبين القائد، فجاءت لتغني له، فوقع في قلبي من تعجيز القائد سرور وضعف عزيمته، بعض ما وقع. فكأنه يرجى بما في نفسي. فاقترح عليها قول الشاعر:

نحن قوم تذيبنا الحدق النجل   مع أننا نذيب الحديدا

ومن عبيد فاتك من جعلت ذكره ختامه وأخرته، وإن كان أمامهم، وهو القائد الأجل أبو محمد سرور أمحرة الفاتكي، وجنسه من الحبشة أمحرة، وكل ما أورده عنه نقطة من بحر فضله. فمن مبادىء أمره أن منصور بن فاتك لما قتل الوزير أنيساً، وابتاع من ورثته الحرة الصالحة، حرة زبيد الحاجة واستولدها ولداً سماه فاتكاً بن منصور، ابتعات لولدها من الحبشة وصفانا صغاراً، كان سرور هذا أحدهم، وربي في حجرها. ولم يلبث أن ترعرع وبرع، وولته زمام المماليك، وصرفت إليه الرياسة على كل من في القصر،

فساد وشـدد ولين وشـدد. ثم ولى العـرافـة على طـائفـة مـن الجنـد فملكهـم بالإحسان والصفح عنهم. ثم ترقت به الحال إلى أن ولي الترسل بين السلطان والـوزراء الأكابر. واستغنى عن الأزمة. وكان الزمام الناظر يومئذ هو الشيخ صواب. وكان يميل إلى الدين والتخلي للعبادة، فإذا عوتب على ذلك قال القائد أبو محمد سرور هو صاحب الأمر والنهي علي [وعليكم]، وعلى مولاتنا. وليس (شيء) يخرج عن أمره، وهو أهل أن يتقلد أمور الناس في الثواب والعقاب، والحل والعقد. وترقت الحال بسرور، حتى أخرج الوزير مفلح من زبيد، ولم يزل سرور يحارب مفلحاً، حتى مات مفلح في الجبال، بعـد أن جرت بينهم وقائع، يموت في كل واحد منها العدد الكثير من الفريقين، وكانت العاقبة والدولة لسرور.

وحدثني الشيخ عبد المحسن بن إسماعيل، وكان كاتب القائد سرور ووزيره قال: أذكر وقد سار الأمير الشريف غانم بن يحيي الحسني في نصرة الوزير مفلح على سرور، ومع ألف فارس، ومن الرجال عشرة آلاف، وانضاف ذلك إلى عسكر مفلح، وانضمت إليها من العرب بنو مشعل، وهم أحلاس الخيل وفرسان الليـل، وبنـو عمـران، وبنـو زعـل، وبنـو حـرام، والحكميون في ضموم. وزحفوا إلينا ونحن في عدد يسير. وقد كتب القائد سرور إلى أهل زبيد يستغفر الناس، وكانت الوقعة بالمهجم، وبعدها من زبيد ثلاثة أيام، قال فقلت للقائد: إن هذا تهور، إنما نحن في هؤلاء كقطرة في اليم، أو لقمة في الفم. فقال: أمسك عليك، فوالله إن الموت عندي أهون من الهزيمة، ثم التقى الناس، فكانت الدائرة على مفلح وغانم ومن معهما، وتضاعف خطر القائد سرور في نفس الموالف والمخالف. وقبل ذلك ما كان من خروج الوزير مفلح طالباً العون، إلى أن حصل على زبيد، على نصف مرحلة. وثار محمد بن فاتك بـن جياش في زبيد حين خلت من العسكر، فحاز محمد بن فاتك هذا، دار الإمارة (ليلاً)، ووقف القراء بين يديه، ففاضت البلد عليه بالتهنئة. ووزيره منصور بن الوزير من الله الفاتكي.

واستعصمت الحرة وولدها بعلو الدار ونمى الخبر إلى القائد سرور، وهو في ساقة العسكر، فانثنى راجعاً وتسور الحصن، ودخل المدينة، ونادى إلى مولاته من خلف دار الملك: أرموا إلي الحبل، أنا فلان. ورفعه الأستاذون، والنساء بالحبال حتى وصل إلى مولاته، فسلم عليها وسكن روعها وقال: هذه العساكر خلفي متواصلة. ثم أخذ مئة جارية وخمسين أستاذاً فألبسهم زي الرجال من الدروع والسلاح، وفتح الطيقان، وصاح الجميع صيحة واحدة: يا فاتك بن منصور، هذا ومحمد بن فاتك جالس على سرير تحت طيقان الدار. ثم رماه القائد بحجر، فلم يخطئ وجه محمد بن فاتك، فهشمت وجهه عند تلك الصيحة العظيمة، فانهزم هو ووزيره في تلك الساعة ومن معهما، وخرجوا من باب البلد ليلاً. ولم يصل العسكر إلى البلد إلا في الظهر من صبيحة تلك الليلة.

فهذه بعض المقدمات الموجبة لتقدم سرور على كافة أهل الدولة.

ثم ولى المهجم، وهو كرسي ملك كبير، ثم تشاعب العرب، وبنو عمران، وبنو زعل. وتشاعب الحكيمة، وتشاعب الأمير غانم بن يحيى الحسني، ودولته ظاهرة. وكان هذا القائد مقيماً في زبيد من هلال ذي القعدة إلى آخر يوم من شعبان، ثم يخرج من زبيد فيصوم رمضان في المهجم، ويصلح أحوال تلك الأعمال، وتتسع نفقاته وصلاته في شهر زمضان حتى قال لي الشيخ عبيد بن بحر وزيره: كانت وظيفة مطبخه مدة شهر رمضان في كل يوم ألف دينار، وكنت أشاهده عدة سنين، إذا جاء من المهجم يريد زبيد، احتفل الناس بالخروج للقائه على اختلاف طبقاتهم، ويقف الناس على تل عال فأول طائفة تسلم عليه الفقهاء الملكية والحنفية والشافعية، وكان يترجل لهم، ولا يترجل لأحد قبلهم ولا بعدهم، ثم ينصرفون ويجيء بعدهم التجار، فإذا انفرجوا جاءت العسكرية أفواجاً. وإذا دخل المدينة وقضى حق السلام على السلطان، مضى إلى دار مولاته الحرة. فإذا دخل عليها انفض الناس من عندها، الصغير والكبير، ولا يبقى عندها إلا غزال جاريتها، وهي أخت زوجته، وجارية

مولاها منصور بن فاتك. وهؤلاء النسوة يمشين في الخير على منوالها، ويتشبهن في الصلاح بأفعالها. فإذا وصل إليها نزلت عن سريرها إكراماً منها، وتبجيلاً لقدرة وقالت له: أنت يا أبا محمد وزيرنا، بل ومولانا، بل ورجلنا الذي لا يحل لنا أن نخرج من طاعتك في شيء. فيصيح بالبكاء بين يديها، ويعفر خده بالأرض، إلى أن تتولى رفعه بيدها عن الأرض.

ثم تستأخر النسوة (الثلاث) في طرف المجلس غير بعيد، بحيث يفضي إليها بما حسن عنده أن يفعله، من التدبير في تلك السنة، من ولاية وعزل وإنعام (وقتل ثم) لا يزال جالساً بين يديها، والنسوة الثلاث واقفة على رأسه، حتى يقوم إلى صلاة الظهر، فيعود إلى مسجده -وهو على باب داره- فيجده لا يتسع من كثرة الناس الذين لا يستطيعون الخروج في لقائه.

فصل فيما شاهدت بخط كتابه

رأيت جريدة الصدقات التي يدفعها عند دخونه إلى زبيد للفقهاء والقضاة والمتصدرين في الحديث، والنحو واللغة وعلم الكلام والفروع (والمدرسين والمفتي) اثني عشر ألف (دينار). في كل سنة، خارج عن صلة العسكر، مع كثرتهم. وحكى لي عبيد بن بحر وغيره: أن الهدايا التي يدفعها كل سنة، برسم حواشي السلطان، من الجهات والأزمة، ووصفان الخواص، عشرون ألف دينار. وهذه صلة خارجة عن أرزاقهم المستقرة وحدثني غيرهم: أن المحمول من أعماله إلى بيت ماله في كل سنة ستون ألف دينار، وأن المحمول من بيت مولاته الحرة وحواشيها وترائبها، ومن يلوذ بها، على وجه الهدية خمسة عشر ألف دينار.

فصل: كان القائد أبو محمد سرور الفاتكي رحمه الله، يخرج إلى مسجده بعد نصف الليل أو ثلثه، وكان أعلم الناس جميعاً بالمنازل وبالأنواء ويقول: إنما أخرج في هذا الوقت، لعل أحداً من أهل البيوتات، وأرباب الستر لا يقدرون على الوصول إلى عندي بالنهار، إما لكثرة الناس أو لفرط الحياة فإذا صلى الصبح ركب: إما إلى فقيه يزوره، أو مريض يعوده، أو ميت يحضر دفنه، أو وليمة أو عقد نكاح (يشهده). وما يخص بذلك أكابر الجند والعلماء والتجار، دون أصاغرهم، بل من دعاه أجاب. وكان المتظلم من الرعية

يجفو عليه ويفحش له في القول، وهو آمن حميته وعزته وغضبه. وكان يدعى إلى الحاكم فيحضر ولا يوكل (كما يفعل الجبابرة وإن كانوا أصاغر). ويقعد بين يدي الحاكم تواضعاً، ودخولاً لأوامر الشرع تحت الطاعة (ليقتدي به سواه) ثم يعود به ركوبه بالغداة، فيسلم على السلطان، ويستعمل الاشتغال بتدبير الأمور العسكرية إلى وقت الغداء. ثم يخرج إلى المسجد في [أول] زوال الظل، فلا يشتغل بشيء سوى المستندات الصحيحة عن رسول الله ﷺ إلى صلاة العصر. ثم يدخل داره ويخرج قبل المغرب إلى المسجد. فإذا صلى المغرب تناظر الفقهاء بين يديه إلى [وقت صلاة] العشاء الآخرة. وربما تطول المناظرة في بعض الليالي، و[ربما] ركب حماراً، وأخذو صيفاً واحداً بين يديه حتى يجتمع بالحرة الملكة للمشورة، ولم يزل هذا حاله من سنة تسع وعشرين وخمس مئة، إلى أن قتل في مسجده هذا، رحمه الله بزبيد في الركعة الثالثة من صلاة العصر، يوم الجمعة الثاني عشر من رجب من سنة إحدى وخمسين وخمس مئة. قتله رجل يقال له مجرم، من أصحاب علي بن مهدي. ثم قتل قاتله في تلك العشية، بعد أن قتل جماعة من الناس ولم تلبث الدولة بعد قتلة إلا يسيراً حتى أزالها علي بن مهدي، وملك زبيد وأعمالها في سنة أربع وخمسين وخمس مئة وسأذكر علي بن مهدي هذا باليمن (في) فصل أشير فيه جمل من بدايته وغايته.

ذكر خروج علي بن مهدي باليمن

أما نسبه فمن حمير. وأما اسمه فعلي بن مهدي من أهل قرية يقال لها العنبرة. من سواحل زبيد. كان أبوه رجلاً صالحاً سليم القلب، ونشأ ولده علي بن مهدي هذا على طريقة أبيه في العزلة والتمسك (بالعبادة) والصلاح ثم حج وزار، ولقي حاج العراق، وعلماءها، ووعاظها، وتضلع من معارفهم، وعاد إلى اليمن فاعتزل، وأظهر الوعظ، وإطلاق التحذير من صحبة العسكرية (الملوك وحواشيهم. وكان ظهوره في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة) وكان فصيحاً صبيحاً، أخضر اللون، ملوح الخدين، ألحى، طويل القامة، مخروط الجسم، بين عينيه سجادة، حسن الصوت، طيب النغمة، حلو الإيراد، غزير المحفوظات، قائماً بالوعظ والتفسير، وطريقة الصوفية، أتم قيام. وكان يتحدث بشيء من أحواله المستقبلات فيصدق. فكان ذلك من أقوى عدده في استمالة قلوب العالم.

وظهر أمره بساحل زبيد، بقرية العنبرة، وقرية واسط وقرية القضيب والأهواب والمعتفى، وساحل الغارة، وكان يتنقل منها. وكانت عبرته لا ترقأ على ممر الأوقات. وكنت يومئذ منقطعاً إليه، ملازماً له في أكثر الأوقات مدة سنة. ثم علم والدي أني تركت التفقه ولزمت طريقة النسك، فجاء من بلده مسافراً حتى أخذني من عنده وأعادني إلى المدرسة بزبيد، وكنت أزوره

في كل شهر زورة. فلما استفحل أمره انقطعت عنه خوفاً من أهل زبيد. ولم يزل من سنة إحدى وثلاثين يعظ الناس في البوادي، فإذا دنا موسم مكة خرج حاجاً على نجيب إلى سنة ست وثلاثين. ثم أطلقت الحرة أم فاتك بن منصور له ولإخوته ولأصهاره، ثم لمن يلوذ به، خراج أملاكهم، فلم يمض بهم هنيهة حتى أثروا واتسعت بهم الحال، وركبوا الخيل. كما قال المتنبي:

فكأنما نتجت قياماً تحتهم   وكأنما ولدوا على صهواتها

ثم أتى بقوم من أهل الجبال حالفوه على النصرة، فخرج إليهم سنة ثمان وثلاثين، وجمع جوعاً تبلغ أربعين ألفاً، وقصد بهم مدينة الكدراء، فلقيه القائد إسحاق بن مرزوق السحرتي في قومه فهزموا أصحابه، وقتلوا خلقاً من جوعه، وعفوا عن أكثرهم. وعاد ابن مهدي إلى الجبال فأقام بها [إلى] سنة إحدى وأربعين. ثم كتب إلى زبيد، وسألها في ذمة له، ولمن يلوذ به ويعود إلى وطنه، ففعلت الحرة ذلك، على كره من أهل دولتها، ومن فقهاء عصرها ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولا﴾.

أقام علي بن مهدي يشتغل [في] أملاكه، عدة سنين، وهي مطلقة من الخراج، واجتمع له من ذلك مالٌ جزيلٌ، وكان يقول في وعظه: «أيها الناس، دنا الوقت وأزف الأمر، وكأنكم بما أقول لكم، وقد رأيتموه عياناً»، فما هو إلا أن ماتت الحرة سنة خمس وأربعين، حتى أصبح في الجبال في موضع يقال له الداشر من بلد خولان، ثم ارتفع منه إلى حصن يقال له الشرف، وهو لبطن من خولان، يقال لهم بنو حيوان، بإسكان الياء، وسماهم الأنصار، وسمى من صعد من تهامة، بالمهاجرين.

ثم ساء ظنه بكل أحد ممن هو في صحبته، خوفاً منهم على نفسه، فأقام للأنصار رجلاً من خولان يسمى سبأبن يوسف، وكناه بشيخ الإسلام، وللمهاجرين رجلاً (من العمرانيين) يسمى النوبي. نعته أيضاً بشيخ الاسلام. وجعلهما نقيبين على الطائفتين. فلا يخاطبه، ولا يصل إليه سواهما. وربما

احتجب فلا يرونه، وهم يتصرفون في الغزو. فلم يزل يغادي الغارات، ويراوحها على أهل تهامة، حتى أخرب الحدود المصاقبة للجبال. والحبشة يومئذ تبعث بالأموال في المراكز. فلا يغنون شيئاً لوجوه كثيرة منها: أن الموضع الذي هو حصن الشرف حصن منيع بنفسه، وبكثرة خولان. ومنها أن الإنسان إذا أراد أن يصل إلى حصن الشرف مشى في واد ضيق بين جبلين مسافة يوم كامل أو بعض يوم، فإذا وصل إلى أصل الجبل، الذي فيه الحصن، احتاج في طلوع النقيل إلى نصف يوم حتى يقطع العقبة. ومنها أن الوادي يتصل مسيله من تهامة بشعاب عظيمة. إذا كمنت فيها الجيوش العظيمة الجرارة شهراً لم يعلم بها أحد.

وكانت غزوات ابن مهدي إذا غارت على بعض أعمال تهامة، ونهبت وأحرقت وأدركها الفجر، تعدل إلى الجبال التي في الوادي الذي فيه الشعاب فمكثت فيه، فلا يوصل إليها، ولا يقدر عليها. ولم يزل من فعله مع أهل زبيد إلى أن أخلى جميع أهل البوادي، وقطع الحرث والقوافل. وكان يأمر أصحابه أن يسوقوا الأنعام الرقيق، وما عجز عن المسير عقروه. ففعلوا من ذلك ما أرغب وأرهب، وقضى بخراب الأعمال.

ثم لقيت علي بن مهدي هذا عند الداعي محمد بن سبأ، صاحب عدن، بمدينة ذي جبلة سنة تسع وأربعين، يستنجده على أهل زبيد، فلم يجبه الداعي إلى ذلك. وعرض [علي] صحبته. وعقد لي أن يقدمني على كل أحد من أصحابه. ولما عاد ابن مهدي من ذي جبلة سنة تسع [وأربعين] إلى حصن الشرف، دبر علي (قتل) القائد سرور الفاتكي، فقتل في رجب سنة إحدى وخمسين وخمس مئة. وكان مما أعان ابن مهدي على أهل زبيد، اشتغال رؤسائها بالتنافس والتحاسد على رتبة القائد سرور. وفتح على [أهل] الدولة بعده، أبواب الشر المسدود، وانحل عقدها المشدود. وفارق ابن مهدي حصن الشرف، وهبط إلى الداشر بينه وبين زبيد أقل من نصف يوم، وتقرب الرعايا إليه. وعرب البلادهم [الذين] كانوا رعايا الحبشة. وكان الرجل من

في كل شهر زورة. فلما استفحل أمره انقطعت عنه خوفاً من أهل زبيد. ولم يزل من سنة إحدى وثلاثين يعظ الناس في البوادي، فإذا دنا موسم مكة خرج حاجاً على نجيب إلى سنة ست وثلاثين. ثم أطلقت الحرة أم فاتك بن منصور له ولإخوته ولأصهاره، ثم لمن يلوذ به، خراج أملاكهم، فلم يمض بهم هنيهة حتى أثروا واتسعت بهم الحال، وركبوا الخيل. كما قال المتنبي:

فكأنما نتجت قياماً تحتهم ... وكأنما ولدوا على صهواتها

ثم أتى بقوم من أهل الجبال حالفوه على النصرة، فخرج إليهم سنة ثمان وثلاثين، وجمع جوعاً تبلغ أربعين ألفاً، وقصد بهم مدينة الكدراء، فلقيه القائد إسحاق بن مرزوق السحرتي في قومه فهزموا أصحابه، وقتلوا خلقاً من جوعه، وعفوا عن أكثرهم. وعاد ابن مهدي إلى الجبال فأقام بها [إلى] سنة إحدى وأربعين. ثم كتب إلى زبيد، وسألها في ذمة له، ولمن يلوذ به ويعود إلى وطنه، ففعلت الحرة ذلك، على كره من أهل دولتها، ومن فقهاء عصرها ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولا﴾.

أقام علي بن مهدي يشتغل [في] أملاكه، عدة سنين، وهي مطلقة من الخراج، واجتمع له من ذلك مالٌ جزيلٌ، وكان يقول في وعظه: «أيها الناس، دنا الوقت وأزف الأمر، وكأنكم بما أقول لكم، وقد رأيتموه عياناً»، فما هو إلا أن ماتت الحرة سنة خمس وأربعين، حتى أصبح في الجبال في موضع يقال له الداشر من بلد خولان، ثم ارتفع منه إلى حصن يقال له الشرف، وهو لبطن من خولان، يقال لهم بنو حيوان، بإسكان الياء، وسماهم الأنصار، وسمى من صعد من تهامة، بالمهاجرين.

ثم ساء ظنه بكل أحد ممن هو في صحبته، خوفاً منهم على نفسه، فأقام للأنصار رجلاً من خولان يسمى سبأ بن يوسف، وكناه بشيخ الإسلام، وللمهاجرين رجلاً (من العمرانيين) يسمى النوبي. نعته أيضاً بشيخ الاسلام. وجعلها نقيبين على الطائفتين. فلا يخاطبه، ولا يصل إليه سواهما. وربما

احتجب فلا يرونه، وهم يتصرفون في الغزو. فلم يزل يغادي الغارات، ويراوحها على أهل تهامة، حتى أخرب الحدود المصاقبة للجبال. والحبشة يومئذ تبعث بالأموال في المراكز. فلا يغنون شيئاً لوجوه كثيرة منها: أن الموضع الذي هو حصن الشرف حصن منيع بنفسه، وبكثرة خولان. ومنها أن الإنسان إذا أراد أن يصل إلى حصن الشرف مشى في واد ضيق بين جبلين مسافة يوم كامل أو بعض يوم، فإذا وصل إلى أصل الجبل، الذي فيه الحصن، احتاج في طلوع النقيل إلى نصف يوم حتى يقطع العقبة. ومنها أن الوادي يتصل مسيله من تهامة بشعاب عظيمة. إذا كمنت فيها الجيوش العظيمة الجرارة شهراً لم يعلم بها أحد.

وكانت غزوات ابن مهدي إذا غارت على بعض أعمال تهامة، ونهبت وأحرقت وأدركها الفجر، تعدل إلى الجبال التي في الوادي الذي فيه الشعاب فمكثت فيه، فلا يوصل إليها، ولا يقدر عليها. ولم يزل من فعله مع أهل زبيد إلى أن أخلى جميع أهل البوادي، وقطع الحرث والقوافل. وكان يأمر أصحابه أن يسوقوا الأنعام الرقيق، وما عجز عن المسير عقروه. ففعلوا من ذلك ما أرغب وأرهب، وقضى بخراب الأعمال.

ثم لقيت علي بن مهدي هذا عند الداعي محمد بن سبأ، صاحب عدن، بمدينة ذي جبلة سنة تسع وأربعين، يستنجده على أهل زبيد، فلم يجبه الداعي إلى ذلك. وعرض [علي] صحبته. وعقد لي أن يقدمني على كل أحد من أصحابه. ولما عاد ابن مهدي من ذي جبلة سنة تسع [وأربعين] إلى حصن الشرف، دبر علي (قتل) القائد سرور الفاتكي، فقتل في رجب سنة إحدى وخمسين وخمس مئة. وكان مما أعان ابن مهدي على أهل زبيد، اشتغال رؤسائها بالتنافس والتحاسد على رتبة القائد سرور. وفتح على [أهل] الدولة بعده، أبواب الشر المسدود، وانحل عقدها المشدود. وفارق ابن مهدي حصن الشرف، وهبط إلى الداشر بينه وبين زبيد أقل من نصف يوم، وتقرب الرعايا إليه. وعرب البلادهم [الذين] كانوا رعايا الحبشة. وكان الرجل مع

أصحاب ابن مهدي يلقى أخاه أو قريبه وهو [ممن] مع الحبشة ، إما مزارع ، وإما جمال ، وإما راعي ماشية لهم فيفسده.

ولم يزل الأمر كذلك حتى زحف ابن مهدي لهم إلى باب المدينة في عوالم لا تحصى. وحدثني غير واحد من أهل اليمن ممن أدرك الحصار بزبيد قالوا : لم تصبر أمة على الحصار والقتال ما صبر [عليه] أهل زبيد ، وذلك أنهم قاتلوا ابن مهدي اثنين وسبعين زحفاً ، يقتل منهم من يقتل ، ونالهم الجوع ، حتى أكلوا الميتة من شدة الجهد والبلاء. ثم استنجدوا بالشرف الزيدي ، ثم الرسي أحمد بن سليمان [الهروي] ، صاحب صعدة ، فأنجدهم طمعاً في الملك ، وشرطوا له أن يملكوه عليهم. فقال الشريف : إن تقتلوا مولاكم فاتكاً حلفت لكم. فوثب عبيد فاتك بن جياش بن نجاح ، ونجاح مولى مرجان ، ومرجان مولى أبي عبدالله الحسين بن سلامة ، والحسين بن سلامة مولى رشيد الزمام ورشيد مولى أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن زياد ، فقتلوه في شهور سنة ثلاث وخمسين.

ثم عجز الشريف عن نصرهم على ابن مهدي. وجرت بينهم بعد ذلك وبين ابن مهدي مصافات ، يتحصنون منهم بالمدينة ، إلى أن كان فتحه لها ، وزوال دولتهم ، واستقراره بدار الملك في يوم الجمعة ، الرابع عشر من رجب سنة أربع وخمسين ومائة ، وأقام علي بن مهدي بقية رجب وشعبان ورمضان ومات في شوال من السنة. فكانت مدة ملكه شهرين وواحد وعشرين يوماً.

ثم انتقل إلى والده المهدي. ثم إلى ولده عبد النبي وخلع. ثم إلى ولده عبدالله. ثم عادت إلى عبد النبي كرة ثانية ، والأمر اليوم في اليمن بأسره إليه ما عدا عدن ، فإن أهلها هادنوه عليها بما في كل سنة. واجتمع لعبد النبي هذا ملك الجبال والتهائم ، وانتقل إليه ملك جميع ملوك اليمن وذخائرها.

وحدثني محمد بن علي ، من أهل ذي جبلة ، أنه حصل في خزائن ابن مهدي ملك خمس وعشرين دولة من دول أهل اليمن. فمنها أنوال أهل

زبيد، وما من عبيد فاتك وجهاته وأعيان دولته، إلا من مات عن أموال جليلة من العين جزيلة (صار جميع ذلك إليه). لأنه ملك الذراري والنساء. فأظهروا له كنوز مواليهم، وكذلك المصوغ، واللؤلؤ والجوهر. واليواقيت الفاخرة، والملابس الجليلة على اختلاف أصنافها. وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿وكم تركوا من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، وكذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾.

وانتقل إليهم ملك بني سليمان الشرفاء، وانتقل إليهم ملك بني وائل، سلاطين وحاظة، وهم أهل دولة متأثلة. وكذلك معاقل من بقي من بني الصليحي. كل معقل منها له أعمال واسعة، والارتفاعات الكثيرة. فأما ملك الملك منصور بن المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري، فإنه حاز جميع حصونه وهي ما هي، وجميع ذخائره؛ وإنما هي جميع ذخائر الداعي علي بن محمد الصليحي، وذخائر المكرم أحمد بن علي زوج الحرة الملكة السيدة. وذخائر الحرة الملكة زوجته. وذلك أن الجميع انتقل إلى الحرة. وأودعته في حصن التعكر، وتغلب عليه المفضل بن أبي البركات وعلى ما فيه. وانتقل التعكر وما فيه من الممالك بأسرها، إلى ولده منصور بن المفضل، لأنهم يزعمون أن الأمير منصور بن المفضل، عمر في الملك ثلاثين سنة، ومات في عشر المئة أو التسعين.

ومما انتقل لابن مهدي حصن المجمعة وأمواله، وحصن التعكر وأمواله على ما قيل. ومدينة ذي جبلة، وهي مقر الدعوة الفاطمية، وكرسي الملك لبني الصليحي، وكذلك مدينة الجند وأعمالها، وكذلك ثالثه وشرياق وذخر وأعمالها [وهي مخلاف واسع] وليس ملك علي بن محمد هذا صاحب ذخر دون ملك منصور بن المفضل، ثم ملك بني الزر. ومدينة جبلة ومدينة ذي أشرق، ومدينة أب، وحصون خولان، وحصون بني وبيعة وهي: عزان وحب والشماحي، وأخذ السلطان أبا النورين أبا الفتح، فبقي حصن السوا لابن السبأي.

ثم استولى ابن مهدي على معاقل الداعي عمران بن محمد، التي صارت لابن مهدي وهي: حصن سامع ومطران، وهذه حصون إقليم المعافر. وانتقل إليه معقل اليمن -الذي ليس بعد التعكر وحب سواه- وهو حصن السمدان. وبه يضرب المثل، وهو الذي ليس لمخلوق عليه اقتدار ما لم يعنه الخالق بماضيات الأقدار.

وهذا الذي سميته نقطة من بحر ما ملك ابن مهدي هذا. ولم أذكر بلاد بني المظفر، سبأ بن أحمد الصليحي. ولا إقليم حراز، ولا برع ولا بلاد بكيل، ولا حاشد، ولا جبلة وحصونها وأعمالها، ولا وادي عنه، ولا وادي زبيد، ولا غير ذلك من [جبال] وادي رمع، وريمة والأشاعرة وحصونها ومعاقلها وقراها [ولا وحاظة وأعمالها. وهو مسيرة أيام] ومذيخرة وأعمالها. وهي مسيرة أيام ودمت. ووادي نخلة.

فأما المذهب الذي كان عليه ابن مهدي وما يعتقده، فكان حنفي الفروع، ثم أضاف إلى عقيدته في الأصول: التفكير بالمعاصي والقتل بها، وقتل من خالف اعتقاده من أهل القبلة، واستباحة الوطء لسباياهم، واسترقاق ذراريهم وجعل دارهم دار حرب. وحكى لي عنه، والعهدة على الحاكي: أنه لم يكن يثق بإيمان أحد من المهاجرين حتى يذبح ولده أو أباه أو أخاه. ويقرأ عليه: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، أولئك كتب الله في قلوبهم الإيمان وأيَّدهم بروح منه﴾. وأعرف صبياً منهم كان جاراً له، وكان يتفقه، راحت والدته إليه تزوره فذبحها.

وأما اعتقاد أصحابه فيه، فهو فوق ما يعتقده الناس في الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم. وذلك أن الواحد من آل ابن مهدي هؤلاء، يحسن عنده أن يقتل جماعة من عسكره، ثم إذا قدروا عليه لم يقتلوه ديناً وعقيدة. وإذا غضب على رجل من أكابرهم وأعيانهم حبس نفسه في الشمس، ولم يطعم ولم

يشرب، ولم يصل إليه ولده ولا زوجته، ولا يقدر أحد أن يشفع فيه، حتى يرضى عنه ابتداء من نفسه.

ومن طاعتهم له أن كل واحد منهم يحمل ما تغزله زوجته وبناته إلى بيت المال ويكون ابن مهدي الذي يكسو الواحد منهم. ويكسو أهله ومن عنده. وليس لأحد من العسكرية فرس يملكه، ولا يرتبطه في داره، ولا عدة ولا سلاح، ولا غيرها، بل الخيل في اسطبلاته، والسلاح في خزائنه. فإذا عن له أمر دفع لهم من الخيل والعدة ما يحتاجون إليه.

ومن سيرته أن المنهزم من عسكره. يضرب رقبته، ولا سبيل إلى حياته. ومن سيرته قتل من شرب المسكر، وقتل من سمع الغناء، وقتل من زنى، وقتل من تأخر عن صلاة الجمعة، وعن مجلسي وعظه وهما يوم الخميس، ويوم الاثنين، وقتل من تأخر فيهما عن زيارة قبر أبيه. وهذه الرسوم إنما هي في العسكرية. وأما الرعايا فالأمر فيهم ألطف من أمر العسكرية وقد بلغني في هذا الوقت وهو سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة، أن الأمر قد هان على ما كان عليه من الشدة.

فصل في من ولي الدعوة الفاطمية باليمن

فمن ذلك الداعي على بن محمد الصليحي، جمع بين الدعوة والملك. ثم ولده المكرم أحمد بن علي الصليحي، جمع بين الدعوة والملك. ثم السلطان سليان الزواحي، ولي الدعوة دون ذلك. ثم القاضي لملك بن مالك الحمادي الهمداني جمع بين الدعوة والحكم دون الملك. ثم علي بن إبراهيم الموفق في الدين بن نجيب الدولة، ولي الدعوة، وملك بأمر الحرة الملكة بعض أعمالها ثم وصل سجل مولانا الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين عليه السلام، بالبشارة بولادة مولانا الإمام الطيب أبي القاسم بن الإمام الآمر بالنص عليه بالإمامة، إلى حجته بهذه الجزيرة اليمنية بما مثاله: « بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله ووليه المنصور، أبي علي الآمر بأحكام الله، أمير المؤمنين، إلى الحرة، الملكة، السيدة، الرضية، الطاهرة الزكية وحيدة الزمن، وسيدة ملوك اليمن، عمدة الإسلام، خاصة الإمام، ذخيرة الدين، عمدة المؤمنين، كهف المستجيبين، عصمة المسترشدين، وولية أمير المؤمنين، وكافلة أوليائه الميامين، أدام الله تمكينها ونعمتها، وأحسن توفيقها ومعونتها. سلام عليك. فإن أمير المؤمنين يحمد الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهتدين وسلم تسليماً.

أما بعد، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا يحصى لها عد، ولا تقف عند

أمد ولا حد، ولا تنتهي إلى الإحاطة بها الظنون، لكونها كالسحاب الذي كلما انقضى [منها] سحاب أعقبه سحاب هتون. فهي كالشمس الساطعة الإشراق، الدائمة الانتظام والاتساق، والغيوث المتتابعة الاتصال، المتوالية في الغدو والآصال. ومن أشرافها لديه قدراً، وأعظمها صيتاً وذكراً، وأسناها جلالاً وفخراً، الموهبة بما جدده الآن، بأن رزقه مولوداً زكياً مرضياً، براً تقياً. وذلك في الليلة المصبحة بيوم الأحد الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة. ارتاحت إلى طيب ذكره أسرة المنابر، وتطلعت إلى مواهبه آمال كل باد وحاضر، وأضاءت بأنوار عزته، وبهجة طلعته ظلم الدياجر، وانتظمت به للدولة الزاهرة الفاطمية عقود الفضائل والمفاخر. استخرجه من سلالة النبوة كما يستخرج النور من النور، ومنح أمير المؤمنين منه، ما قدح به زنار السرور. وسماه الطيب عنصره، وكناه أبو القاسم كنية جده نبي الهدى المستخرج جوهره من جوهره. وأمير المؤمنين يشكر الله تعالى على ما من به من إطلاعه كوكبا من سماء دولته، وشهاباً مضيئاً في فلك جلالته ورفعته، شكراً يقضي باستدامة نعمته، وإدرار سحائب طوله ورأفته، ويسأله أن يبلغه فيه كنه الآمال، ويصل به حبل الإمام، ما اتصلت الأيام بالليالي، ويجعله عصمة للمسترشدين، وحجة على الجاحدين، وعوناً للمضطرين، وغوثاً للمنتجعين، ووازراً للخائفين، وسعادة للعارفين، لتنال الدنيا بسعادته أو في حظوظها وقسمها، وتصبح الأيام مفترة عن ناجذ مبسمها، ولمكانك من حضرة أمير المؤمنين المكين، ومحلك [عنده] الذي امتنع عن المماثل والقرين، أشعرك هذه البشرى، الجليل قدرها، العظيم فخرها، المنتشر صيتها وذكرها، لتأخذي من المسرة بها بأوفى نصيب، وتذيعيها فيمن قبلك من الأولياء والمستجيبين، إذاعة يتساوى في المعرفة بها كل بعيد منها وقريب، لينتظم بها عقد السرور، ويتضوع عرفها تضوع المندل الرطب منها [في البادية] والحضور. فاعلمي هذا، واعملي به إن شاء الله تعالى: [والسلام عليك ورحمة الله]، وكتب بالتاريخ المذكور [والحمد لله وحده]. وصلى الله على رسوله

سيدنا محمد، وعلى آله الأئمة الطاهرين، وسلم وشرف وكرم إلى يوم الدين(*) [١٠٣].

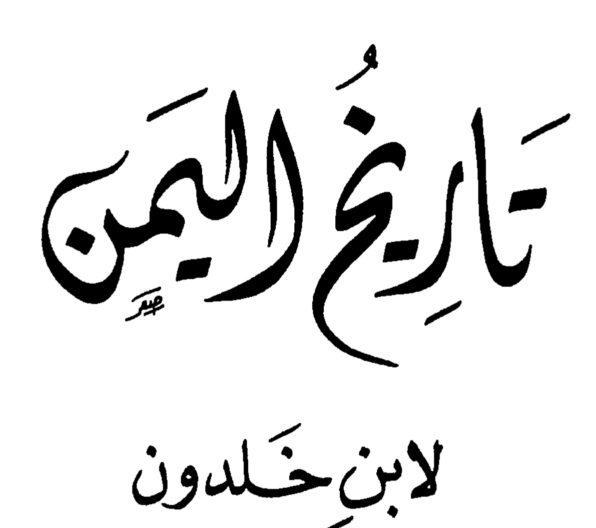
ثم انتقل [الأمر] عن مولانا الآمر. وولى الحافظ، فكان أول سجل وصل منه إلى الحرة الملكة من ولي عهد المسلمين، وفي السنة الثانية من أمير المؤمنين. فأقامت الحرة الملكة الداعي الأجل إبراهيم بن الحسين الحامدي ثم نقلت دعوة الحافظ إلى آل زريع وقالت: حسب بني الصليحي ما علموه من أمر مولانا الطيب. ثم صارت الدعوة في ولده حاتم بن إبراهيم بن الحسين الحامدي إلى هذه المدة. فانتقلت من ولاية الحافظ (إلى) آل زريع. فمنهم الأمير الأوحد سبأ بن أبي السعود بن زريع بن العباس اليامي، جمع بين الدعوة والملك، ثم ولده الداعي المتوج المكين، داعي أمير المؤمنين، محمد بن سبأ، جمع بين الدعوة والملك.

قد آتينا في هذا المختصر على جمل من أخبار الملوك في جزيرة اليمن والدعاة.

تم التاريخ المبارك، فالحمد لله الذي تم بنعمته الصالحات*.

(*) هذا آخر ما كتبه عمارة عن بلاد اليمن.

كُتُب تاريخ



تَارِيخُ اليَمَن

لابنِ خَلدون

دِراسَة وتقديم وَعَرض وَتحقيق

الدكتور محمّد زينهم محمّد عزب

دار الجيل

أخبار اليمن والدول الإسلامية التي كانت فيه للعباسيين وللعبيديين، وسائر ملوك العرب، وابتداء ذلك وتصاريفه على الجملة، ثم تفصيل ذلك على مدته وممالكه واحدة بعد واحدة

قد تقدم لنا في آخر السيرة النبوية، كيف صار اليمن في مملكة الإسلام بدخول عامله في الدعوة الإسلامية، وهو بأذان عامل كسرى، وأسلم معه أهل اليمن، وأمره النبي ﷺ على جميع مخالفيها. وكان منزله صنعاء كرسي التبابعة، وأنه مات بعد حجة الوداع. فقسم النبي ﷺ على عمال من قبله، وجعل صنعاء لابنه شهر بن باذان. وذكرنا خبر الأسود العنسي، وكيف أخرج عمال النبي ﷺ من اليمن، وزحف إلى صنعاء فملكها، وقتل شهر بن باذان، وتزوج امرأته، واستولى على أكثر اليمن، وارتد أكثر أهله. وكتب النبي ﷺ إلى أصحابه وعماله، وإلى من ثبت على إسلامه، فداخلوا زوجة شهر بن باذان التي تزوجها في أمره على يد ابن عمها فيروز. وتولى كبر ذلك قيس بن عبد يغوث المرادي، فبيته هو وفيروز وداذويه بإذن زوجته وقتلوه. ورجع عمال النبي ﷺ إلى أعمالهم، وذلك قبيل الوفاة.

واستبد قيس بصنعاء، وجمع الفل من جند الأسود. فولى أبو بكر على اليمن فيروز، فيمن إليه من الأبناء، وأمر الناس بطاعته فقاتل قيس بن مكشوح وهزموه ثم ولى أبو بكر المهاجر بن أبي أمية على قتال أهل الردة باليمن وكذلك عكرمة بن أبي جهل، وأمره بأن يبدأ بالمرتدة من أهل عمان ويلحق بالمهاجر، ثم استقر اليمن في ولاية يعلى بن منبه، ولقي عائشة بمكة فسار معها،

وحضر حرب الجمل وولى علي على اليمن، عبيدالله بن عباس، ثم أخاه عبدالله ثم ولى معاوية على صنعاء، فيروز الديلمي، ومات سنة ثلاث وخمسين. ثم جعل عبد الملك اليمن في ولاية الحجاج، لما بعثه لحرب الزبير سنة اثنتين وسبعين.

ولما جاءت دولة بني العباس، ولى السفاح على اليمن عمه داود بن علي، حتى إذا توفي سنة وثلاثين ومائة، ولى مكانه ابن زياد بن عبيدالله بن عبدالله ابن عبد المداني [الحارثي]. ثم تعاقب الولاة على اليمن. وكانوا ينزلون صنعاء، حتى آلت الخلافة إلى المأمون، وظهرت دعاة الطالبيين بالنواحي، وبايع أبو السرايا من بني شيبان بالعراق لمحمدبن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم -وإبراهيم أخو المهدي- النفس الزكية، محمد بن عبدالله بن حسن وكثر المرج، وفرق عماله في الجهات، ثم قتل. وبويع محمد بن جعفر الصادق بالحجاز وظهر باليمن إبراهيم بن موسى الكاظم سنة مائتين، ولم يتم أمره، وكان يعرف بالجزار لسفكه الدماء. وبعث المأمون عساكره إلى اليمن؛ فدخلوا نواحيه، وحملوا كثيراً من وجوه الناس، فاستقام أمر اليمن كما نذكره.

قيام دولة بني زياد بالدعوة العباسية

ولما وفد وجوه أهل اليمن على المأمون، كان فيهم محمد بن زياد، من ولد عبيدالله بن زياد بن أبي سفيان، فاستعطف المأمون، وضمن له حياطة اليمن من العلويين. فوصله وولاه على اليمن، وقدمها سنة ثلاث ومائتين، وفتح تهامة اليمن، وهو البلد الذي على ساحل البحر الغربي. واختط فيها مدينة زبيد[1]، ونزلها واختارها كرسياً لتلك المملكة. وولى على الجبال مولاه جعفراً. وفتح تهامة بعد حروب مع العرب. واشترط على عرب تهامة ألا يركبوا الخيل، واستولى على اليمن أجمع، ودخلت في طاعته أعمال حضرموت، والشحر[2]، وديار كندة، وصار في مرتبة التبابعة.

وكان في صنعاء قاعدة اليمن، بنو يعفر من حمير، بقية الملوك التبابعة استبدوا بها، مقيمين للدعوة العباسية، ولهم مع صنعاء، بيحان ونجران، وجرش. وكان آخرهم أسعد بن يعفر، ثم أخوه محمد. فدخلوا في طاعة بني

(١) بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به، وهي مدينة مشهورة باليمن أحدثت في أيام المأمون وبازائها ساحل غلافقة وساحل المندب وهو علم مرتجل لهذا الموضع.

(٢) بكسر أوله وسكون ثانية وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن.

زياد. وكان في عثر من ممالك اليمن أيضاً: سليمان بن طرف، فدخل في طاعته.

ثم هلك محمد بن زياد، وولى بعده ابنه إبراهيم ثم ابنه زياد بن إبراهيم ثم أخوه أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم، وطالت مدته إلى أن اشتد، وبلغ الثمانين. وقال عمارة: ملك ثمانين سنة باليمن، وحضرموت، والجزائر البحرية. ولما بلغه قتل المتوكل وخلع المستعين، واستبداد الموالي على الخلفاء منع ارتفاع اليمن، وركب بالمظلة، شأن سلاطين العجم المستبدين.

وفي أيامه خرج في اليمن يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بدعوة الزيدية، وجاء إليها من السند، وكان جده القاسم قد فر إلى السند بعد خروج أخيه، محمد بن أبي السرايا ومهلكه كما مر، فلحق القاسم بالسند وأعقب بها الحسين، ثم ابنه يحيى بن الحسين، فظهر يحيى باليمن سنة ثمان وثمانين (ومئتين) ونزل صعدة[1]. وظهرت دعوة الزيدية، وزحف إلى صنعاء فملكها من يد أسعد بن يعفر، ثم استردها ابن يعفر، ورجع إلى صعدة. وكان شيعته يسمونه الإمام، وعقبه الآن بها: وقد تقدم خبرهم.

وفي أيام أبي الجيش بن زياد أيضاً، ظهرت دعوة العبيديين باليمن، فقام بها علي بن الفضل بعدن لاعة، وجبال اليمن، إلى جبل المذيخرة سنة أربع وتسعين ومائتين. وبقي باليمن من الشرجة إلى عدن عشرون مرحلة، ومن مخلافه إلى صنعاء خمس مراحل. ولما غلبه علي بن الفضل بهذه الدعوة، امتنع أصحاب الأطراف عليه. مثل بني أسعد بن يعفر بصنعاء، وسليمان بن طرف بعثر، والإمام الرسي بصعدة، فسلك معهم المهادنة، ثم هلك أبو الجيش سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة بعد أن اتسعت جبايته، وعظم ملكه. قال ابن سعيد: رأيت مبلغ ارتفاع جبايته وهو ألف ألف مكررة مرتين، وثلاث مئة

(١) بالفتح ثم السكون بلفظ صعدت صعدة واحدة، وصعدة مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخاً وبينه وبين خيوان ستة عشر فرسخاً.

ألف، وستة وستون ألفاً من الدنانير العثرية، ما عدا ضرائب على مراكب السند، وعلى العنبر الواصل بباب المندب، وعدن أبين، وعلى مغائص اللؤلؤ، وعلى جزيرة دهلك. ومن بعضها ألف رأس وصائف، وكانت ملوك الحبشة من وراء البحر يهادونه ويخطبون مواصلته.

ولما مات خلف طفلاً صغيراً اسمه عبدالله، وقيل إبراهيم، وقيل زياد، وكفلته أخته، ومولاه رشيد الحبشي. وولى رشيد على الجبال مملوكه الحسين ابن سلامة النوبي. وآل الأمر في دولتهم بتوالي الوزارة في موالي الحبشة والنوبة. واستبدادهم عليهم، إلى أن انقرضت دولتهم سنة سبع وأربع مئة. ثم هلك هذا الطفل، فولي طفل آخر من بني زياد أصغر منه. قال ابن سعيد لم يعرف عمارة اسمه لتوالي الحجبة عليه. ويعني عمارة مؤرخ اليمن. وقيل اسم هذا الطفل الأخير إبراهيم، وكفلته عمته، ومرجان من موالي الحسين بن سلامة، واستعبد أمرهم ودولتهم. وكان له موليان: اسم أحدهما نفيس والآخر نجاح. فجعل الملك في كفالة نفيس، وأنزله معه في زبيد، وولى نجاحاً على سائر الأعمال، خارج زبيد، ومنها الكدراء والمهجم. وكان يؤثر نفيساً على نجاح ووقع بينهما تنافس، ورفع لنفيس أن عمة الطفل تميل إلى نجاح، وتكاتبه دونه. فقبض عليهما بإذن مولاه مرجان، ودفنهما حيين.

واستبد وركب بالمظلة وضرب السكة، وامتعض نجاح لذلك، فزحف في العساكر، وبرز نفيس للقائه، فكانت بينهما حروب ووقائع انهزم نفيس في آخرها. وقتل في خمسة آلاف من عسكره. وملك نجاح زبيد سنة ثنتي عشرة وأربع مئة. ودفن نفيساً ومولاه مرجاناً مكان الطفل والعمة، واستبد وضرب السكة باسمه. وكاتب ديوان الخلافة ببغداد، فعقد له على اليمن. ولم يزل مالكاً لتهامة، قاهراً لأهل الجبال، إلى أن قتله علي الصليحي، القائم بدعوة العبيديين، بالسم، على يد جارية، بعث بها إليه سنة ثنتين وخمسين وأربعمائة، فقام بالأمر بعده بزبيد مولاه كهلان. ثم استولى الصليحي على زبيد، وملكها من يده كما ذكرنا.

الخبر عن بني الصليحي القائمين بدعوة العبيديين باليمن

كان القاضي محمد بن علي الهمداني ثم الصليحي، رئيس حراز من بلاد همدان وينتسب في بني يام. ونشأ له ولد اسمه علي، وكان صاحب الدعوة يومئذ سليمان بن عبدالله الزواحي، نسبة إلى قرية من قرى حراز، ويقال: إنه كان عنده كتاب الجفر، من ذخائر أئمتهم بزعمهم، فزعموا أن علياً ابن القاضي محمد مذكور فيه، فقرأ علي على سليمان الداعي وأخذ عنه، ولما توسم فيه الأهلية، أراه مكان اسمه في الجفر وأوصافه. وقال لأبيه القاضي: احتفظ بابنك فسيملك جميع اليمن.

فنشأ فقيهاً صالحاً، وجعل يحج بالناس عن طريق الطائف والسرات خمس عشرة سنة. فطار ذكره، وعظمت شهرته، وألقى على ألسنة الناس أنه سلطان اليمن. ومات الداعي سليمان الزواحي، فأوصى له بكتبه، وعهد إليه بالدعوة. ثم حج بالناس سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة على عادته. واجتمع بالموسم بجماعة من قومه همدان كانوا معه، فدعاهم إلى النصرة والقيام معه فأجابوه وبايعوه، وكانوا ستين رجلاً من رجالات قومهم، فلما عادوا قام في مسار، وهو حصن في ذروة جبل حراز، وحصن ذلك الحصن، ولم يزل أمره ينمو. وكتب إلى المستنصر[1] صاحب مصر، يسأله الإذن في إظهار الدعوة، فأذن

(1) الخليفة الفاطمي وحدث في عهده مجاعة في مصر [illegible]

له، وأظهرها وملك اليمن كله.

ونزل صنعاء، واختـط بها القصور. وأسكن عنده ملوك اليمن الذين غلبوا على أمرهم، وهزم بنو طرف ملوك عثر وتهامة، وأعمل الحيلة في قتل نجاح مولى بني زياد، ملك زبيد، حتى تم له ذلك على يد جارية أهداها إليه كما ذكر سنة ثنتين وخمسين وأربعمائة.

ثم سار إلى مكة بأمر المستنصر صاحب مصر، ليمحو منها الدعوة العباسية، والإمارة الحسنية، واستخلف على صنعاء ابنه المكرم أحمد، وجعل معه زوجته أسماء بنت شهاب والملوك الذين معه مثل: ابن الكرندي، وابن يعفر التبعي، ووائل بن عيسى الوحاظي وأمثالهم. فبيته سعيد بن نجاح بالمهجم وقتله سنة تسع وخمسين وأربع مائة. وقام بالأمر بعده ابنه المكرم أحمد، واستولى على أمره، وأقام بصنعاء. وكانت أمه أسماء بنت شهاب، قد سباها سعيد بن نجاح ليلة البيات فكتبت إلى ابنها المكرم: «إني حبلى من العبد الأحول، فأدركني قبل أن أضع، وإلا فهو العار الذي لا يمحوه الدهر». فسار المكرم من صنعاء سنة ستين وأربعمائة في ثلاثة آلاف، ولقي الحبشة في عشرين ألفاً فهزمهم. ولحق سعيد بن نجاح بجزيرة دهلك، ودخل المكرم إلى أمه وهي جالسة بالطاق الذي نصب عنـده رأس الصليحـي وأخيـه، فـأنـزلها ودفنهما، ورفع السيف.

وولى أسعد بن عراف على أعمال تهامة. وأنزله بزبيد منها وارتحل بأمه إلى صنعاء. وكانت تدبر ملكه. ثم جمع أسعد بن عراف أموال تهامة، وبعث بها مع وزيره أحمد بن سالم، ففرقتها أسماء على وفود العرب. ثم هلكت أسماء سنة سبع وستين وأربعمائة. وخرجت زبيد من يد المكرم، واستردها جياش بن نجاح سنة إحدى وستين، ثم انتقل المكرم إلى ذي جبلة سنة خمس وسبعين، وولى على صنعاء عمران بن الفضل الهمداني، فاستبد بها وتوارثها عقبه. وتسمى ابنـه أحمد، باسم السلطان، واشتهر به، وبعده ابنه حاتم بن أحمد، وليس بعده

بصنعاء من له ذكر، حتى ملكها بنو سليمان لما غلبتهم المواشم على مكة كما في أخبارهم.

ولما انتقل المكرم إلى ذي جبلة، وهي مدينة اختطها عبدالله بن محمد الصليحي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وكان انتقاله بإشارة زوجته، سيدة بنت أحمد التي صار إليها تدبير ملكه بعد أمه أسماء. فنزلها وبنى فيها دار العز، وتحيّل على قتل سعيد بن نجاح، فتم له كما نذكر في أخبار بني نجاح، وكان مشغولاً بلذاته، محجوباً بزوجته. ولما حضرته الوفاة سنة سبع وسبعين عهد إلى ابن عمه، المنصور سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي، صاحب معقل أشيح. فقاده المستنصر العبيدي، وأقام بمعقله وسيدة بنت أحمد بذي جبلة.

وخطبها المنصور سبأ، وامتنعت فحاصرها بذي جبلة، وقال له أخوها لأمها سليمان بن عامر الزواحي: والله لا نجيبك إلا بأمر المستنصر، خليفة مصر. فراسل في ذلك، وأجيب، ووصل خادم من عند المستنصر، وأبلغه أمره بذلك، وتلا عليها: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة، إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾. وإن أمير المؤمنين زوجك. من الداعي المنصور أبي حمير سبأ أحمد بن المظفر، على مئة ألف دينار، وخمسين ألفاً من أصناف التحف واللطائف. فانعقد النكاح. وسار سبأ من معقل أشيح إلى ذي جبلة، ودخل إليها بدار العز. ويقال إنها شبهت عليه بجارية من جواريها فقامت على رأسه ليلها كله، وهو لا يرفع الطرف إليها، حتى أصبح فرجع إلى معقله. وأقامت هي بذي جبلة.

وكان المستولي عليها المفضل بن أبي البركات من بني يام -رهط الصليحي- واستدعى عشيرته جانباً، وأنزلهم عنده، بذي جبلة. فكان يسطو بهم. وكانت سيدة تأتي التعكر في الصيف، وبه ذخائرها وخزائنها، فإذا جاء الشتاء رجعت إلى ذي جبلة، ثم انفرد المفضل بالتعكر، ولم ينكر منها ولا أنكرت منه.

ثم سار المفضل لقتال آل نجاح، فوثب في حصن التعكر فقيه يلقب

بالحمل، مع سبعة من الفقهاء. أحدهم إبراهيم بن زيدان، عم عمارة الشاعر. فبايعوا الحمل على أن يمحو الدعوة الإمامية. فرجع المفضل من طريقه وحاصرهم. وجاءت خولان لنصرتهم، فصانعهم المفضل. وهلك في حصارهم سنة أربع وخمسمائة. فجاءت بعده الحرة سيدة، وأنزلتهم على عهد، فنزلوا ووفت لهم به، وكفلت عقب المفضل وولده. وصار معقل التعكر في يد عمران بن الزر الخولاني وأخيه سليمان. واستولى عمران على الحرة السيدة مكان المفضل. ولما ماتت استبد عمران وأخوه بحصن التعكر، واستولى منصور بن المفضل بن أبي البركات على ذي جبلة حتى اشتراه منه الداعي الزريعي صاحب عدن كما سيأتي:

واعتصم بمعقل أشيح الذي كان للداعي المنصور سبأ بن أحمد، وذلك أن المنصور توفي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة. واختلف أولاده من بعده، وغلب ابنه علي منهم، على المعقل، وكان ينازع المفضل بن أبي البركات والحرة سيدة وأعياهما أمره فتحيل المفضل بسم أودعه في سفرجل أهداه إليه، فمات منه، واستولى بنو أبي البركات على حصون بني المظفر.

ومات المفضل عن قرب كما مر، وكفلت السيدة ابنه المنصور، وكان غير مستقل بالملك ثم نهضت به سنه، فصار له ملك أبيه في حصن التعكر وقلاعه، وذي جبلة إلى الداعي الزريعي صاحب عدن مائة ألف دينار. وما زال يبيع معاقله حصناً حصناً، حتى لم يبق له غير معقل تعز، أخذه منه علي بن مهدي بعد أن ملك ثمانين سنة، وبلغ من العمر مائة سنة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

الخبر عن دولة بني نجاح بزبيد موالي بني زياد ومبادىء أمورهم وتصاريف أحوالهم

ولما استولى الصليحي على زبيد من يد سعيدبن نجاح بعد أن أهلك [نجاح] بالسم على يد الجارية التي بعثها إليه سنة ثنتين وخمسين وأربعمائة، كما مر. وكان لنجاح ثلاثة من الولد: معارك وسعيد وجياش. فقتل معارك نفسه، ولحق سعيد بجزيرة دهلك. وأقاما هنالك يتعلمان القرآن والآداب. ثم رجع سعيد إلى زبيد مغاضباً لأخيه جياش، واختفى بها في نفق احتفره تحت الأرض، ثم استقدم أخاه جياشًا فقدم، وأقاما هنالك في الاختفاء.

ثم إن المستنصر العبيدي -الخليفة المصري- قطع دعوته بمكة، محمد بن جعفر أميرها من الهواشم: فكتب إلى الصليحي يأمره بقتاله، وحمله على إقامة الدعوة العلوية بمكة. فسار علي الصليحي لذلك من صنعاء، وظهر سعيد وأخوه من الاختفاء. وبلغ خبرهم إلى الصليحي، فبعث عسكراً نحواً من خمسة آلاف فارس، وأمرهم بقتلهما. وقد كان سعيد وجياش خالفا العسكر، وسارا في اتباع الصليحي، وهو في عساكره. فبيتوه في المهجم متوجهاً إلى مكة، وكان معه خمسة آلاف من الحبشة، فلم يغنوا عنه شيئاً. فانفض عسكره، وقيل تولى قتله جياش بيده وذلك سنة تسع وخمسين. ثم قتل عبدالله الصليحي، أخا علي، في مئة وسبعين من بني الصليحي، وأسر زوجته أسماء بنت عمه شهاب، في خمس وثلاثين من ملوك القحطانيين، الذين غلب عليهم باليمن. وبعث إلى

العسكر الذين ساروا لقتل سعيد وجياش، فأمنهم واستخدمهم، وارتحل إلى زبيد، وعليها أسعد بن عراف. ففر أسعد إلى صنعاء، ودخل سعيد إلى زبيد، وأسماء زوجة الصليحي أمامه في هودج. ورأسي الصليحي وأخيه عند هودجها، وأنزلها بدارها، ونصب الرأسين قبالة طاقها في الدار.

وامتلأت القلوب منه رعباً وتلقب بنصير الدولة، وتغلب ولاة الحصول على ما بأيديهم. ودهش المكرم بن علي الصليحي بصنعاء، وكاد أن يتضعضع أمره، وكتبت إليه أسماء، أمه من زبيد تغريه وتقول: إني حبلى من سعيد، فأدركني قبل أن تقع الفضيحة عليك، وعلى جميع العرب، فتحيل المكرم في إغراء سعيد بن نجاح بصنعاء على لسان بعض أهل الثغور، وضمن له الظفر.

فجاء سعيد لذلك في عشرين ألفاً من الحبشة، وسار إليه المكرم من صنعاء وهزمه، وحال بينه وبين زبيد، فهرب إلى جزيرة دهلك ودخل المكرم زبيد وجاء إلى أمه وهي جالسة بالطاق، وعندها رأس الصليحي، وأخيه فأنزلها ودفنهما، وولى على زبيد أسعد بن عراف في سنة ستين وأربعمائة، وارتحل إلى صنعاء، ثم رجع إليها سعيد سنة إحدى وستين.

وكتب المكرم إلى أبي عبدالله بن يعفر صاحب حصن الشعر بأن يغري سعيداً بالمكرم، وانتزاع ذي جبلة من يده، لانشغاله بملذاته، واستيلاء زوجته سيدة بنت أحمد عليه، وأنه مفلج. فتمت الحيلة، وسار سعيد في ثلاثين ألفاً من الحبشة. وكمن له المكرم تحت حصن الشعر. فغدروا به هنالك. وانهزمت عساكره وقتل، ونصب رأسه عند الطاق الذي كان فيها رأس الصليحي بزبيد، واستولى عليها المكرم وانقطع منها ملك الحبشة.

وهرب جياش ومعه وزير أخيه، خلف بن أبي الطاهر الأموي ودخلا عدن متنكرين، ثم لحقا بالهند واقاما هناك ستة أشهر، ولقي هنالك كاهناً جاء من سرنديب. فبشرهما بما يكون لهما، فرجعا إلى اليمن. وتقدم خلف الوزير إلى زبيد، وأشاع موت جياش، واستأمن لنفسه ولحق به جياش. فأقام هنالك

مختفياً. وعلى زبيد يومئذ أسعد بن عراف ومعه علي بن القم وزير المكرم، وكان حنقاً على المكرم ودولته. فداخله الوزير خلف ولاعب ابنه الحسين الشطرنج، ثم انتقل إلى ملاعبة أبيه، وأطلعه على رأيه في الدولة، وأنه يتشيع لآل نجاح. وتمتم بعض الأيام وهو يلاعبه، فسمعه علي بن القم واكتشف أمره، فكشف له القناع واستحلفه. وجياش أثناء ذلك يجمع أشياعه من الحبشة وينفق فيهم الأموال، حتى اجتمع له منهم خمسة آلاف. فثار بهم في زبيد سنة اثنتين وستين، ونزل دار الإمارة. ومن على أسعد عراف، وأطلقه لزمانة كانت به. وبقي ملكاً على زبيد وتهامة يخطب للعباسيين. والصليحيون يخطبون للعبيديين. والمكرم يبعث العرب للغارة على زبيد، كل حين، إلى أن هلك جياش على رأس المئة الخامسة. وكانت كنيته أبو الطامي، وكان موصوفاً بالعدل.

وولي بعده ابنه الفاتك بن جياش. وخالف عليه أخواه: إبراهيم وعبد الواحد وجرت بينه وبينهما حروب، وكان الظفر له آخرًا، ثم هلك سنة ثلاث وخمسمائة.

ونصب عبيده للملك ابنه منصور بن فاتك، صبياً لم يحتلم، ودبروا ملكه، وجاء عمه إبراهيم لقتاله، وبرزوا له، فثار عمه عبد الواحد بالبلد. وبعث منصور إلى المفضل بن أبي البركات، صاحب التعكر، فجاء لنصره مضمراً للغدر به، ثم بلغه انتقاض أهل التعكر عليه، فرجع.

ولم يزل منصور في ملكه بزبيد، إلى أن وزر من عبيده أبو منصور من الله، فقتله مسموماً سنة سبع عشرة وخمسمائة، ونصب فاتكاً، ابنه طفلاً صغيراً، واستبد عليه، وقام بضبط الملك، ونعى عليه التعرض لحرم آل نجاح، حتى هربت منه أم فاتك هذا، وسكنت خارج المدينة.

حاربه ابن نجيب الدولة، داعي العلوية، فامتنع عليه. وهو الذي شيد المدارس للفقهاء بزبيد، واعتنى بالحاج، وابتنى سور المدينة. ثم راود بنت معارك بن جياش. فلم تجد بدًا من إسعافه فأمكنته حتى إذاقضى وطر،

مسحت ذكره بمنديل مسموم فتهرأ لحمه، وذلك سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

وقام بأمر فاتك بعده زريق، من موالي آل نجاح. قال عمارة: كان أحول شجاعاً قدما، وكان ولوداً، ثم عجز بعد حين، ولم يستقر أحد مكانه، حتى قام بالوزارة سرور الحبشي الفاتكي، من موالي أم فاتك، المختصين بها.

قال عمارة: وفي سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة توفي فاتك بن منصور وولي بعده ابن عمه وسميه، فاتك بن محمد بن فاتك، وسرور قائم بوزارته، وتدبير دولته ومحاربة أعدائه. وكان يلازم المسجد، إلى أن دس عليه علي بن مهدي الخارجي من قتله في المسجد. وهو يصلي العصر يوم الجمعة ثاني عشر صفر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. وثار الناس بذلك الشيطان القاتل، فقتل جماعة من أهل المسجد ثم قتل. واضطرب موالي آل نجاح بالدولة، وثار عليهم علي بن مهدي الخارجي وحاربهم مراراً، وحاصرهم طويلاً، واستعانوا بالشريف المنصور أحمد بن حمزة السليماني، وكان يملك صعدة، فأغاثهم على أن يملكوه، ويقتلوا سيدهم فاتك بن محمد. فقتلوه سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. وملكوا عليهم الشريف أحمد، فعجز عن مقاومة ابن مهدي، وفر تحت الليل، وملكها علي بن مهدي سنة أربع وخمسين وخمسمائة وانقرض أمر آل نجاح. والبقاء لله.

الخبر عن دولة بني الزريع بعدن من دعاة العبيديين باليمن، وأولية أمرهم ومصائرهم

وعدن هذه من أمنع مدائن اليمن، وهي على ضفة البحر الهندي، وما زالت بلد تجارة منذ عهد التبابعة، وأكثر بنائهم بالأخصاص، ولذلك يطرقها الحريق كثيراً، وكانت صدر الإسلام دار ملك لبني معن. قال البيهقي[1] ينتسبون إلى معن بن زائدة، ملكوها من أيام المأمون، وامتنعوا على بني زياد، فقنعوا منهم بالخطبة والسكة.

ولما استولى الداعي علي بن محمد الصليحي على اليمن، رعى لهم ذمار العروبة وقرر عليهم ضريبة يعطونها، ثم أخرجهم منها ابنه أحمد المكرم، وولى عليها بني الكرم من عشيرة جشم بن يام، من همدان، وكانوا في أقرب عشائره إليه. فأقامت في ولايتهم زمناً، ثم حدثت بينهم الفتنة، وانقسموا إلى فئتين: بنو مسعود بن الكرم، وبنو زريع بن العباس بن الكرم، وغلب بنو الزريع بعد

---

(١) هو الفقيه والمحدث أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي صاحب التصانيف، ولد سنة ٣٨٤ هـ ولزم الحاكم وتخرج به، وأكثر عنه جداً وهو من كبار أصحابه بل زاد عليه بأنواع من العلوم كتب الحديث وحفظه، له عدة مصنفات منها السنن الكبرى، السنن الصغرى وشعب الإيمان والأسماء والصفات ودلائل النبوة والبعث والآداب والدعوات والمدخل والمعرفة والترغيب والترهيب والخلافيات والزهد، مات سنة ٤٥٨ هـ.
أنظر: تبيين كذب المفتري ٢٦٨، المنتظم ٨/٢٦٥، النجوم الزاهرة ٥/٨٧.

حروب عظيمة.

قال ابن سعيد: وأول مذكور منهم الداعي سبأبن أبي السعودبن الزريع، أول من اجتمع له الملك بعد بني الصليحي، وورثه عنه بنوه، وحاربه ابن عمه، علي بن الغارات بن مسعود بن الكرم، صاحب الزعازع. فاستولى على عدن من يده، بعد مقاسات ونفقات في الأعراب. ومات بعد فتحها بسبعة أشهر، سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

ولي ابنه الأعز، وكان مقياً بحصن الدملوة، المعقل الذي لا يرام، وامتنع عليه بعدن، بلال بن جرير، مولى بني زريع. وأراد أن يعدل بالملك لمحمد بن سبأبن أبي سعود بن زريع من مواليه. وخشي محمد بن سبأ على نفسه، ففر إلى المنصور بن المفضل من ملوك الجبال الصليحيين بذي جبلة.

ثم مات الأعز قريباً، فبحث بلال عن محمد بن سبأ، فوصل إلى عدن، وكان التقليد جاء من مصر، باسم الأعز، فكتب مكانه محمد بن سبأ وكان من نعوته: الداعي المعظم المتوج المتين، سيف أمير المؤمنين، فوقعت كلها عليه، وزوجه بلال بنته، ومكنه من الأموال التي كانت في خزائنه. ثم مات بلال عن مال عظيم، وورثه محمد بن سبأ، وأنفقه في سبيل الكرم والمرءات. واشترى حصن ذي جبلة من منصور بن المفضل بن أبي البركات، كما ذكرنا واستولى عليه. وهو دار ملك الصليحيين. وتزوج سيدة بنت عبدالله الصليحي، وتوفي سنة ثمان وأربعين وخمس مئة.

وولي ابنه عمران بن محمد بن سبأ، وكان ياسر بن بلال يدبر دولته، وتوفي سنة ستين وخمس مئة، وترك ولدين صغيرين هما: محمد وأبو السعود، فحبسهما ياسر بن بلال في القصر، واستبد بالأمر. وكان ياسر ممدحاً، كثير العطية للشعراء، وممن وفد عليه ومدحه، ابن قلانس شاعر الاسكندرية، ومن قصائده في مدحه.

سافر إذا حاولت قدرا ... سار الهلال فصار بدرا

وهو آخر ملوك الزريعيين. ولما دخل شمس الدولة سيف الإسلام أخو صلاح الدين إلى اليمن سنة تسع وستين وخسمائة واستولى عليها، جاء إلى عدن فملكها. وقبض على ياسر بن بلال. وانقطعت دولة بني زريع، وصار اليمن للغز، وفيه ولاتهم بنو أيوب، كما نذكر في أخبارهم، وكانت مدينة الجوة قرب عدن، اختطها ملوك الزريعيين. فلما جاءت دولة بني أيوب تركها، ونزلوا تعز من الجبال كما يأتي ذكره.

أخبار ابن مهدي الخارجي وبنيه وذكر دولتهم باليمن بدايتها وانقراضها

هذا الرجل من أهل العنبرة، من سواحل زبيد. وهو علي بن مهدي الحميري، كان أبوه مهدي معروفاً بالصلاح والدين، ونشأ ابنه علي على طريقته. فاعتزل ونسك ثم حج، ولقى علماء العراق، وأخذ الوعظ من وعاظهم. وعاد إلى اليمن واعتزل، ولزم الوعظ. وكان حافظاً فصيحاً، ويخبر بحوادث أخباره، فيصدق. فمال إليه الناس واغتبطوا به. وصار يتردد للحج من سنة إحدى وستين، ويعظ الناس على البوادي. فإذا حضر الموسم، أتاه على نجيب له. ولما استولت أم فاتك على بني جياش، أيام ابنها فاتك بن منصور، أحسنت فيه المعتقد، وأطلقت ولقرابته وأصهاره خراجهم فحسنت أحوالهم، وأثروا، وركبوا الخيول، وقوي جمعهم.

وكان يقول في وعظه: دنا الوقت، يشير إلى وقت ظهوره، واشتهر ذلك عنه. وكانت أم فاتك تصد أهل الدعوة عنه إلى أن ماتت سنة خمس وأربعين. وكان أهل الجبال قد حالفوه على النصرة. وخرج من تهامة سنة ثمان وثلاثين، وقصد الكدراء فانهزم، وعاد إلى الجبال، وأقام بها سنة إحدى وأربعين، ثم أعادته الحرة أم فاتك إلى وطنه، وماتت سنة خمس وأربعين.

فخرج إلى خولان ونزل ببعض منهم يقال له، حيْوان، في حصن يسمى

الشرف، وهو حصن صعب المرتقى، على مسيرة يوم من سفح الجبل في طريقه أوعار، في واد ضيق، عقبة كؤود. وسماهم الأنصار، وسمى كل من صعد معه من تهامة، المهاجرين. وأمر للأنصار رجلاً اسمه سبأ، وللمهاجرين آخر أسماه شيخ الإسلام، واسمه النوبة واحتجب عمن سواهما.

وجعل يشن الغارات على أرض تهامة، وأعانه على ذلك خراب النواحي بزبيد فقطع سابلتها، وأخرب نواحيها، وانتهى إلى حصن الداثـر، على نصف مرحلة من زبيد، وأعمل الحيلة في قتل سرور، مدبر الدولة فقتل كما مر. وأقام يتحيف زبيد بالزحف. قال عمار: زاحفها سبعين زحفاً، وحاصرها طويلاً. واستمدوا الشريف أحمد بن حمزة السليماني ـ صاحب صعدة ـ فأمدهم. وشرط عليهم قتل سيدهم فاتك بن محمد، فقتلوه سنة ثلاث وخمسين، وملك عليهم الشريف، ثم عجز وهرب عنهم. واستولى علي بن مهدي عليها في رجب سنة أربع وخمسمائة ومات لثلاثة أشهر من استيلائه.

وكان يخطب له بالإمام المهدي، أمير المؤمنين، وقاطع الكفرة المعتدين، وكان على رأي الخوارج يبدأ من علي وعثمان. ويكفر بالذنوب. ولـه قـواعـد ونواميس في مذهبه، يطول ذكرها. وكان يقتل على شرب الخمر. قال عمار: كان يقتل كل من يخالفه من أهل القبلة، ويستبيح نساءهم، وأولادهم، وكانوا يعتقدون فيه العصمة، وكانت أموالهم تحت يده، ينفقها عليهم في مؤنهم. ولا يملكون معه مالاً ولا فرساً ولا سلاحاً. وكان يقتل المنهزم من أصحابه، ويقتل الزاني، وشارب الخمر، وسامع الغناء، ويقتل من تـأخـر عـن صلاة الجماعة، ومن تأخر عن وعظه يومي الاثنين والخميس. وكان حنفياً في الفروع.

ولما توفي تولى بعده ابنه عبد النبي، وانقض عليه أخوه عبدالله، وغلبه على زبيد واستولى على اليمن أجمع، وبه يومئذ خمس وعشرون دولة، فاستولى على جميعها، ولم يبق له سوى عدن، ففرض عليها الجزية.

ولما دخل شمس الدولة توران شاه بن أيوب، أخو صلاح الدين، سنة تسع وستين وخمس مئة، واستولى على الدولة التي كانت باليمن، فقبض على عبد النبي وامتحنه، وأخذ منه أموالاً عظيمة. وحمله إلى عدن، فاستولى عليها.

ثم نزل زبيد واتخذ كرسياً لملكه، ثم استوخمها وسار في الجبال ومعه الأطباء يتخير مكاناً صحيح الهواء والماء ليتخذ منه مسكناً، فوقع اختيارهم على مكان تعز فاختط به المدينة، ونزلها، وبقيت كرسياً لملكه، وملك بنيه ومواليهم بني رسول، كما نذكر في أخبارهم. وبانقراض دولة بني مهدي، انقرض ملك العرب من اليمن، وصار للغز ومواليهم.

ولنذكر الآن طرفاً من الكلام عن قواعد اليمن ومدنه واحدة واحدة كما أشار إليه ابن سعيد

اليمن: من جزيرة العرب تشمل على كراسي سبعة للملك، وهي على قسمين: تهامة والجبال. تهامة مملكتان: مملكة زبيد، ومملكة عدن. ومعنى تهامة ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر. من السرين من جهة الحجاز، إلى آخر أعمال عدن، درة البحر الهندي. قال ابن سعيد: وجزيرة العرب في الاقليم الأول. ويحيط بها البحر الهندي من جنوبها وبحر السويس من غربها وبحر فارس من شرقها.

وكانت اليمن قديماً للتبابعة، وهي أخصب من الحجاز، وأكثر أهلها القحطانيون، وفيها عنز بن وائل، وملكها لهذا العهد لبني الرسول، موالي بني أيوب، ودار ملكهم تعز، بعد أن نزل الجوة أولاً. وبصعدة من اليمن أئمة الزيدية.

زبيد: وهي مملكة اليمن. شمالها الجبال، وجنوبها البحر الهندي، وغربها بحر السويس. اختطها محمد بن زياد، أيام المأمون سنة أربع ومئتين. وهي مدينة مسورة، تدخلها عين جارية، جلبها الملوك، وعليها غيطان نخل، يسكنونها أيام القلة. وهي الآن من ممالك ابن رسول. وبها كان ملك بني زياد ومواليهم، ثم غلبهم عليها بنو الصليحي. وقد مر خبرهم.

عثر وحلي والشرجة: من أعمال زبيد في شمالها. وتعرف بأعمال ابن طرف مسيرة سبعة أيام في يومين، من الشرجة إلى حلي. وبين حلي ومكة ثمانية أيام. وعثر هي منبر الملك، وهي على البحر، وكان سليمان بن طرف ممتنعاً بها على أبي الجيش بن زياد، وكان مبلغ ارتفاعه خمس مئة ألف دينار. ثم دخل في طاعته وخطب له، وحمل المال. ثم صارت هذه المملكة للسليمانيين من بني الحسن، أمراء مكة حين طردهم الهواشم من مكة. وكان غانم بن يحيي منهم يؤدي الأتاوة لصاحب زبيد، وبه استعان مفلح الفاتكي على سرور. ثم ملك بعد غانم عيسى بن حمزة بن بنية. ولما ملك الغز اليمن أخذ يحيي أخو عيسى أسيراً، وسيق إلى العراق فحاول عليه عيسى، فخلصه من الأسر ورجع [يحيي] إلى اليمن فقتل أخاه عيسى وولي مكانه.

المهجم: من أعمال زبيد على ثلاثة مراحل عنها، وعربها من سعد العشيرة من حكم وجعفر قبيلتين منهم. ويجلب منها الزنجبيل.

السرين: آخر أعمال تهامة من اليمن، وهو [و] البحر، دون سور، وبيوتها أخصاص. وملكها راجح بن قتادة، سلطان مكة أعوام الخمسين وست مئة. وله قلعة على نصف مرحلة منها.

الزرائب: من الأعمال الشمالية عن زبيد، وكانت لابن طرف. واجتمع له فيها عشرون ألفاً من الحبشة. ولما ثار الداعي الصليحي لقيه بها في نحو من ثلاثة آلاف فهزمه: وقتل الحبشة الذين معه جميعاً. وقال ابن سعيد في أعمال زبيد، والأعمال التي في الطريق الوسطى بين البحر والجبال، وهي في خط زبيد في شمالها وهي الجادة إلى مكة. قال عمارة: هي الجادة السلطانية، منها إلى البحر يوم أو دونه، وكذلك إلى الجبال. ويجتمع الطريقان الوسطى والساحلية في السرين ويفترقان.

عدن: من ممالك اليمن في جنوب زبيد، وهي كرسي عملها، وهي على ضفة البحر الهندي. وكانت بلد تجارة منذ أيام التبابعة. وبعدها عن خط

الاستواء ثلاث عشرة درجة، ولا تنبت زرعاً ولا شجراً، ومعاشهم السمك، وهي ركاب الهند من اليمن. وأول ملكها لبني معن بن زائدة، استقاموا لبني زياد وأعطوهم الأتاوة.

ولما ملك الصليحيون أقرهم الداعي بها، ثم أخرجهم ابنه أحمد المكرم وولاها بني الكرم من جشم بن يام، رهطه من همدان. وصفا الملك فيها لبني الزريع منهم، وورث دعوة الصليحيين وملكهم، وقد تقدم خبر ذلك كله. ولما ملك علي بن مهدي لم يظفر بها منهم، وقنع منهم بالاتاوة، حتى ملكها من أيديهم شمس الدولة بن أيوب كما تقدم.

عدن أبين: من بنيات المدن وهي إلى جهة الشحر.

الزعازع: بأودية عدن، وكانت لبني مسعود بن الكرم القارعين لبني زريع.

الجوة: اختطها ملوك الزريعيين قرب عدن، ونزلها بنو أيوب، ثم انتقلوا إلى تعز.

حصن ذي جبلة: من حصون مخلاف جعفر، اختطه عبدالله الصليحي، أخو الداعي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وانتقل إليه ابنه المكرم، من حصن صنعاء وزوجه سيدة بنت أحمد، المستبدة عليه، وهي التي أكملت تشييده سنة ثمانين. ومات المكرم، وقد فوض الأمر في الملك والدعوة إلى سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي، وكان في معقل أشيح. وكانت تستظهر بقبيلة جنب، وكانوا خاملين في الجاهلية. وظهروا بمخلاف جعفر.

ثم وصل من مصر ابن نجيب الدولة داعياً، ونزل مدينة الجند، واعتصم بهمدان، فحاربته السيدة بجنب وخولان، إلى أن ركب البحر وغرق، وكان يتولى أمورها المفضل بن أبي البركات، بعد زوجها المكرم، واستولى عليها.

التعكر: من مخلاف، كان لبني الصليحي، ثم للسيدة من بعدهم، ثم طلبه منها المفضل بن أبي البركات. فسلمته إليه، وأقام به إلى أن سار إلى زبيد،

وحاصر فيها بني نجاح. وطالت غيبته، فثار بالتعكر جماعة من الفقهاء، وقتلوا نائبه وبايعوا لإبراهيم بن يزيد، وهو عم عمارة الشاعر. واستظهروا بخولان، فرجع المفضل وحاصرهم، كما مر ذكر ذلك من قبل.

حصن خدد: كان لعبدالله بن يعلى الصليحي، وهو من مخلاف جعفر، وكان المفضل قد أدخل من خولان في حصون المخلاف عدداً كثيراً من بني بحر، وبني منبه ورزاح وشعب. فلما مات المفضل ملكت خولان حصن التعكر، وبقي ذو جبلة لمنصور بن المفضل، في كفالة سيدة كما مر، ووثب مسلم بن الزر من خولان، وملكه من يد عبدالله بن يعلى الصليحي، ولحق عبدالله بحصن مصدود، ورشحته سيدة لمكان المفضل، واستخلصه وأخويه عمران وسليمان. ومات مسلم، فملك ولده سليمان حصن خدد، مع سيدة مكان أخيه مسلم، وزوّجته بنت القائد فتح عاملها على التعكر. فغدر بفتح وملك التعكر من يده. واستطالت أيدي خولان على الرعايا، واستظهرت سيدة عليهم بجنب. وكان عمران وسليمان ناصحين في خدمتها، وهما اللذان أخرجا الداعي ابن نجيب الدولة من مدينة الجنّد، ومن اليمن بأمرها.

حصن مصدود: من حصون مخلاف جعفر وهي خمسة: ذو جبلة والتعكر وحصن خدد. ولما غلبت خولان على حصن خدد من يد عبدالله بن يعلى الصليحي، ولحق بحصن مصدود، كما ذكرنا، ثم غلبوه على مصدود واستولى عليه منهم، زكريا بن شكير البحري.

وكان بنو الكرندي من حمير، ملوكاً قبل بني الصليحي باليمن، وانتزع بنو الصليحي ملكهم. وكان لهم مخلاف جعفر بحصونه، ومخلاف المعافر ومخلاف الجند [وحصن] سمدان، ثم استقر لمنصور بن أبي البركات، وباعها لبني الزريع كما مر.

صنعاء: قاعدة التبابعة قبل الإسلام، وأول مدينة اختطت باليمن، وبنتها فيما يقال عاد، وكانت تسمى أوال، من الأولية بلغتهم. وقصر غمدان قريب

منها ـ أحد البيوت السبعة ـ بناه الضحاك باسم الزهرة. وحجت إليه الأمم، وهدمه عثمان. وصنعاء أشهر حواضر اليمن، وهي فيما يقال معتدلة. وكان فيها أول المئة الرابعة، بنو يعفر من التبابعة، ودار ملكهم كحلان ولم يكن لها نباهة في الملك، إلى أن سكنها بنو الصليحي، وغلب عليها الزيدية، ثم السليمانيون من بعد بني الصليحي.

قلعة كحلان: ومن أعمال صنعاء قلعة كحلان لبني يعفر من التبابعة، بناها قرب صنعاء إبراهيم. وكانت له صعدة وصنعاء ونجران وغيرها من جبال اليمن. وحاربهم بنو الرسي أئمة الزيدية، إلى أن ملكوا صعدة ونجران، واعتصم بنو يعفر بقلعة كحلان. وقال البيهقي: شيد قلعة كحلان أسعد بن يعفر، وحاربهم بنو الرسي وبنو زياد أيام أبي الجيش.

حصن السمدان: من أعمال صنعاء، كانت فيه خزائن بني الكرندي الحميريين، إلى أن ملكه الصليحي، ورد عليهم المكرم بعض حصونهم، إلى أن انقرض أمرهم على يد ابن مهدي. وكان لهم مخلاف جعفر، الذي منه مدينة ذي جبلة، ومعقل التعكر، وهو مخلاف الجند، ومخلاف معافر. ومقر ملكهم السمدان، وهو أحصن من الدملوة.

قلعة منهاب: من قلاع صنعاء بالجبال، ملكها بنو زريع، واستبد بها منهم المفضل بن علي بن راضي ابن الداعي محمد بن سبأ بن زريع، نعته صاحب الخريدة بالسلطان وقال: كانت له قلعة منهاب، وكان حيا سنة ست وثمانين وخمس مئة، وصارت بعده لأخيه الأعز بن علي.

جبل المذيخرة: وهو بقرب صنعاء، وقد اختط جعفر مولى ابن زياد سلطان اليمن مخلاف جعفر فنسب إليه.

عدن لاعة: بجانب المذيخرة. أول موضع ظهرت فيه دعوة الشيعة باليمن. ومنها علي بن المفضل الداعي، ووصل إليها أبو عبدالله الشيعي صاحب الدعوة بالمغرب، وفيها قرأ علي بن محمد الصليحي صبياً. وهي دار دعوة اليمن. وكان

علي بن الفضل داعياً على عهد أبو الجيش بن زياد، وأسعد بن يعفر.

بيجان: ذكرها عمارة في المخاليف الجبلية، وملكها نشوان بن سعيد القحطاني.

تعز: من أجل معاقل الجبال المطلة على تهامة، مازال حصناً للملوك، وهي اليوم كرسي لبني رسول، ومعدود في الأمصار. وكان به من ملوك اليمن منصور بن المفضل بن أبي البركات. ومن أقارب الصليحيين. وأبوه صاحب معقل أشيح. واستولى على حصون بني البركات، وبني المظفر، وورثه عنه ابنه منصور، ثم باعها حصناً حصناً إلى الداعي ابن المظفر، والداعي الزريعي، إلى أن بقي بيده حصن تعز، فأخذه منه ابن مهدي.

معقل أشيح: من أعظم حصون الجبال، وفيه خزائن بني المظفر، وكان للداعي المنصور أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر من الصليحيين، صارت له بعهد المكرم ابن عمه، صاحب ذي جبلة، وقلده المستنصر الدعوة، وتوفي سنة إحدى وتسعين وأربع مئة. وغلب ابنه علي على معاقل الملك بأشيح وأعيا المفضل أمره إلى أن تحيل عليه وقتله بالسم. وصارت حصون بني المظفر لبني أبي البركات، ثم مات المفضل وخلفه ابنه منصور. واستقل بملك أبيه بعد حين. وباع جميع الحصون، فباع ذا جبلة منه الداعي الزريعي صاحب عدن بمئة ألف دينار، وحصن صبر بعد أن كان حلف بالطلاق على ألا يبيعه. فطلق زوجته الحرة، وتزوجها الزريعي، وطال عمره. ملك ابن عشرين، وبقي في الملك ثمانين، وأخذ منه معقل تعز علي بن مهدي.

صعدة: مملكتها تلي مملكة صنعاء، وهي في شرقيها. وفي هذه المملكة ثلاث قواعد: صعدة، وجبل قطابة، وحصن ثلا، وحصون أخرى. وتعرف كلها ببني الرسي، وقد تقدم ذكر خبره.

وأما حصن ثلا: فمنه كان ظهور الموطئ الذي أعاد إمامة الزيدية لبني الرسي، بعد أن استولى عليها بنو سليمان. فآووا إلى جبل قطابة ثم بايعوا

الأحمد الموطئ سنة خمس وأربعين وست مئة. وكان فقيهاً عابداً، وحاصره نور الدين بن رسول في هذا الحصن سنة ثم جر عليه عسكرًا للحصار. ثم مات ابن رسول سنة ثمان وأربعين، وشغل ابنه المظفر بحصار حصن الدملوة. فتمكن الموطئ، وملك حصون اليمن وزحف إلى صعدة، وبايعه السليمانيون، وإمامهم أحمد المتوكل، كما مر في أخبار بني الرسي.

وأما قطابة: فهو جبل شاهق شرقي صعدة، وفيه حصن وقرى، وانضوى إليه بنو الهادي عندما غلبهم بنو سليمان على صعدة إلى أن كان ما ذكرنا.

حراز ومسار: أما حراز فهو إقليم في بلاد همدان، وحراز بطن من بطونهم كان منهم الصليحي. وحصن مسار هو الذي ظهر فيه الصليحي، وهو من إقليم حراز. قال البيهقي: بلادهم غريبة بجبال اليمن وتفرقوا في الإسلام. ولم تبق لهم قبيلة وبرية إلا في اليمن، وهم أعظم قبائله. وبهم قام الموطئ وملكوا جلة من حصون الجبال، ولهم بها إقليم بكيل، وإقليم حاشد، وهما ابنا جشم بن حيوان بن نوف بن همدان. قال ابن حزم[1]: ومن بكيل وحاشد افترقت قبائل همدان انتهى. ومن همدان بنو الزريع، أصحاب السلطان والدعوة في عدن والجوة، ومنهم بنو يام قبيلة الصليحي وبنو همدان شيعة، وهم الآن نهاية في التشيع ببلادهم، وأكثرهم زيدية.

بلاد خولان: قال البيهقي: هي شرقية، من بلاد اليمن، ومتصلة ببلاد همدان، وهي حصون الجبال، ومخلاف جعفر. دخلوا إليها في الدولة الصليحية. وتغلب بنو الزر منهم على حصن خدد والتعكر وغيرهما، وهم أعظم قبائل اليمن مع همدان، ولهم بطون كثيرة، وافترقوا على بلاد الإسلام، ولم يبق منهم وبرية إلا باليمن.

---

(١) انظر: بغية الملتمس ٤٠٣، تذكرة الحفاظ ١١٤٦/٣، جذوة المقتبس ٢٩٠، شذرات الذهب ٢٩٩/٣، الصلة لابن بشكوال ٤١٥/٢، العبر ٢٣٩/٣، وفيات الأعيان ٣٤٠/١، طبقات الحفاظ ٤٣٦ - ٤٣٧.

مخلاف بني أصبح: هو بوادي سحول. وذي أصبح، الذي ينسب إليه قد تقدم ذكره في أنساب حمير من التابعة والأقيال.

ومخلاف يحصب مجاور له، وهو أخو أصبح.

مخلاف بني وائل: مدينة هذا المخلاف شاطح، وصاحبها أسعد بن وائل. وبنو وائل بطن من ذي الكلاع، من سبأ، تغلبوا على هذه البلاد عند مهلك الحسين بن سلامة عامل الجبال لبني نجاح.

مخلاف يربوع: من الجبال، تغلب عليه بنو عبد الواحد بعد موت الحسين ابن سلامة. وكان أهل الأطراف قد استبدوا على الثغور فقاتلهم الحسين بن سلامة؛ حتى عادوا إلى الطاعة، واختط مدينة الكدراء على مخلاف سهام، ومدينة المعفر على وادي ذوال، ومات سنة ثنتين وأربع مئة.

بلاد كندة: وهي من جبال اليمن مما يلي حضرموت وأبجر والرمل، وكان لهم بها ملوك، وقاعدتهم دمون، ذكره امرؤ القيس في شعره.

بلاد مذحج: تولي جهات الجند من الجبال وينزلها من مذحج عنس وزبيد ومراد. ومن عنس بأفريقية فرقة وترية من ظواعن أهلها. ومن زبيد بالحجاز بنو حرب - بين مكة والمدينة. أما بنو زبيد الذين بالشام والجزيرة فهم من طيء وليسوا من هؤلاء.

بلاد بني نهد: في أجوان السروات وقبالة. والسروات بين تهامة والجبال، ونهد من اليمن والحجاز، كسراة الفرس. وبنو نهد من قضاعة، سكنوا اليمن بجوار خثعم، وهم كالوحوش، والعامة تسميهم السرو. وأكثرهم أخلاط من بجيلة وخثعم، ومن بلادهم تبالة، يسكنها قوم عنز بن وائل، ولهم بها صولة، وهي التي وليها الحجاج، واستحقرها فتركها.

البلاد المضافة إلى اليمن

أولها اليمامة: هو بلد منقطع بعمله، والتحقيق أنه من الحجاز، كما هي نجران من اليمن، وكذا قال ابن حوقل، وهي دونها في المملكة وأرضها تسمى العروض، لاعتراضها بين الجبال والبحرين، ففي شرقها البحرين، وغربها أطراف اليمن والحجاز، وجنوبها نجران وشمالها نجد من الحجاز. وفي طولها عشرون مرحلة، وهي على أربعة أيام من مكة، وقاعدتها حجر بالفتح.

وبلد اليمامة كان مقر الملوك قبل بني حنيفة ثم اتخذ بنو حنيفة حجراً -وبينها يوم وليلة- وبظواهرها أحياء من بني يربوع من تميم، وأحياء من بني عجل. قال البكري: واسمها جو، وسميت باسم زرقاء اليمامة. سماها بذلك تبع الآخر. وهي في الإقليم الثاني مع مكة وبعدها عن خط الاستواء واحد، ومن منازلها: توضح وقرقرا. وقال الطبري: إن رمل عالج بين اليمامة والشحر، وهي من أرض وبار.

وكانت اليمامة والطائف لبني هزان بن يعفر بن السكسك. وغلبهم عليها طسم وجديس ثم غلب بنو هزان آخراً، وملكوا اليمامة. وطسم وجديس في تبعهم، وكان آخر ملوك بني هزان: قرط بن جعفر قمات، وغلبتهم طسم على الملك. وكان منهم عمليق وأخباره معروفة. ثم غلبت جديس.

ومنهم اليمامة التي سميت مدينة جوبها. وأخبارها معروفة، ثم استولى على اليمامة بعد طسم وجديس بنو حنيفة. وكان منهم هوذن بن علي ملك اليمامة وتتوج. ويقال: إنما كانت خرازات تنظم ولم يتوج أحد من بني معد قط. ثم كان ثمامة بن أثـال ملك اليمامة على عهد النبوة. وأسر وأسلم وثبت عند الردة، وكان منهم مسيلة، وأخباره معروفة قال ابن سعيد: وسألت عرب البحرين وبعض مذحج عن اليمامة اليوم. فقالوا لعرب من قيس عيلان وليس لبني حنيفة بها ذكر.

بلاد حضرموت: قال ابن حوقل: هي في شرقي عدن بقرب البحر، ومدينتها صغيرة، ولها أعمال عريضة، وبينها وبين عدن وعمان من الجهة الأخرى رمال كثيرة تعرف بالأحقاف. وكانت مواطن لعاد بها قبر هود عليه السلام. وفي وسطها جبال شبام، وهي في الإقليم الأول. ولبعدها عن خط الاستواء ثنتا عشرة درجة، وهي معدودة من اليمن. بلد نخل وشجر ومـزارع، وأكثر أهلها يحكمون بأحكام علي وفاطمة، ويبغضون علياً للتحكيم.

وأكبر مدينة بها الآن قلعة شبام. فيها خيل الملك، وكانت لعاد مع الشحر وعمان. ثم غلبهم عليها بنو يعرب بن قحطان. ويقال إن الذي دل عاد على جزيرة العرب هو رقيم بن أرم. كان سبق إليها مع بني هود فرجع إلى عاد ودلهم عليها. وعلى دخولها بالجوار. فلما دخلوا غلبوا على من فيها، ثم غلبهم بنو يعفر بن قحطان بعد ذلك. وولي على البلاد، فكانت ولاية ابنه حضرمـوت على هذه البلاد. وبه سميت الشحر، من ممالك جزيرة العرب. مثل الحجاز واليمن. وهو منفصل عن حضرموت وعمان. والذي يسمى الشحر قصبته. ولا زرع فيه ولا نخيل، إنما أموالهم الابل والمعز، ومعاشهم من اللحوم والألبان ومن السمك الصغار، ويعلفونها للدواب، وتسمى هذه البلاد أيضاً مهرة، وبها الابل المهرية. وقد يضاف الشحر إلى عمان، وهو ملاصق لحضرموت، وقيل هو ساحلها.

وفي هذه البلاد يوجد اللبان، وفي ساحله العنبر الشحري، وهو متصل في جهة الشرق، وفي غربيها بساحل البحر الهندي الذي عليه عدن، وفي شرقيها ببلاد عمان، وفي جنوبها بحر الهند مستطيلة عليه. وشمالها حضرموت كأنها ساحل لها، ويكونا معًا لملك واحد. وهي في الإقليم الأول، وأشد حراً من حضرموت.

وكانت في القديم لعاد، وسكنها بعدهم مهرة من حضرموت، أو من قضاعة، وهم كالوحوش في تلك الرمال، ودينهم الخارجية، على رأي الإباضية منهم.

وأول من نزل الشحر من القحطانيين مالك بن حمير، خرج على أخيه وائل، وهو ملك بقصر غمدان، فحاربه طويلاً، ومات مالك، فولى بعده ابنه قضاعة بن مالك فلم يزل السكسك بن وائل يحاربه إلى أن قهره. واقتصر قضاعة على بلاد مهرة، وملك بعده ابنه الحاف، ثم مالك بن الحاف، وانتقل إلى عمان، وبها كان سلطانه. قال البيهقي: وملك مهرة بن حيدان بن الحاف بلاد قضاعة، وحاربه عمه مالك بن الحاف، صاحب عمان، حتى غلبهم عليها، وليس لهم اليوم في غير بلادهم ذكر.

وببلاد الشحر مدينة مرباط وظفار على وزن نزال، وظفار دار ملك التبابعة، ومرباط بساحل الشحر، وقد خرجت هاتان المدينتان. وكان أحمد بن محمد بن محمود الحميري، ولقبه الباخودة. وكان تاجراً كثير المال، تقرب إلى صاحب مرباط بالتجارة حتى استوزره، ثم هلك، فملك أحمد الباخوذة. ثم خربها وخرب ظفار سنة تسع عشرة وستمائة. وبنى على ساحل مدينة ظفار بضم الظاء المعجمة، وسماها الأحدية باسمه، وخرب القديمة لأنها لم يكن لها مرمى.

نجران: قال صاحب الكمائم: هي صقع منفرد عن اليمن وقال غيره: هي من اليمن. قال البيهقي: مسافتها عشرون مرحلة، وهي شرق صنعاء وشماليها،

ومنهم اليمامة التي سميت مدينة جوبها. وأخبارها معروفة، ثم استولى على اليمامة بعد طسم وجديس بنو حنيفة. وكان منهم هوذن بن علي ملك اليمامة وتتوج. ويقال: إنما كانت خرازات تنظم ولم يتوج أحد من بني معد قط. ثم كان ثمامة بن أثـال ملك اليمامة على عهد النبوة. وأسر وأسلم وثبت عند الردة، وكان منهم مسيلة، وأخباره معروفة قال ابن سعيد: وسألت عرب البحرين وبعض مذحج عن اليمامة اليوم. فقالوا لعرب من قيس عيلان وليس لبني حنيفة بها ذكر.

بلاد حضرموت: قال ابن حوقل: هي في شرقي عدن بقرب البحر، ومدينتها صغيرة، ولها أعمال عريضة، وبينها وبين عدن وعمان من الجهة الأخرى رمال كثيرة تعرف بالأحقاف. وكانت مواطن لعاد بها قبر هود عليه السلام. وفي وسطها جبال شبام، وهي في الإقليم الأول. ولبعدها عن خط الاستواء ثنتا عشرة درجة، وهي معدودة من اليمن. بلد نخل وشجر ومـزارع، وأكثر أهلها يحكمون بأحكام علي وفاطمة، ويبغضون علياً للتحكيم.

وأكبر مدينة بها الآن قلعة شبام. فيها خيل الملك، وكانت لعاد مع الشحر وعمان. ثم غلبهم عليها بنو يعرب بن قحطان. ويقال إن الذي دل عاد على جزيرة العرب هو رقيم بن أرم. كان سبق إليها مع بني هود فرجع إلى عاد ودلهم عليها. وعلى دخولها بالجوار. فلما دخلوا غلبوا على من فيها، ثم غلبهم بنو يعفر بن قحطان بعد ذلك. وولي على البلاد، فكانت ولاية ابنه حضرمـوت على هذه البلاد. وبه سميت الشحر، من ممالك جزيرة العرب. مثل الحجاز واليمن. وهو منفصل عن حضرموت وعمان. والذي يسمى الشحر قصبته. ولا زرع فيه ولا نخيل، إنما أموالهم الإبل والمعز، ومعاشهم من اللحوم والألبان ومن السمك الصغار، ويعلفونها للدواب، وتسمى هذه البلاد أيضاً مهرة، وبها الإبل المهرية. وقد يضاف الشحر إلى عمان، وهو ملاصق لحضرموت، وقيل هو ساحلها.

وفي هذه البلاد يوجد اللبان، وفي ساحله العنبر الشحري، وهو متصل في جهة الشرق، وفي غربيها بساحل البحر الهندي الذي عليه عدن، وفي شرقيها ببلاد عمان، وفي جنوبها بحر الهند مستطيلة عليه. وشمالها حضرموت كأنها ساحل لها، ويكونا معًا لملك واحد. وهي في الإقليم الأول، وأشد حراً من حضرموت.

وكانت في القديم لعاد، وسكنها بعدهم مهرة من حضرموت، أو من قضاعة، وهم كالوحوش في تلك الرمال، ودينهم الخارجية، على رأي الإباضية منهم.

وأول من نزل الشحر من القحطانيين مالك بن حمير، خرج على أخيه وائل، وهو ملك بقصر غمدان، فحاربه طويلاً، ومات مالك، فولى بعده ابنه قضاعة بن مالك فلم يزل السكسك بن وائل يحاربه إلى أن قهره. واقتصر قضاعة على بلاد مهرة، وملك بعده ابنه الحاف، ثم مالك بن الحاف، وانتقل إلى عمان، وبها كان سلطانه. قال البيهقي: وملك مهرة بن حيدان بن الحاف بلاد قضاعة، وحاربه عمه مالك بن الحاف، صاحب عمان، حتى غلبهم عليها، وليس لهم اليوم في غير بلادهم ذكر.

وببلاد الشحر مدينة مرباط وظفار على وزن نزال، وظفار دار ملك التبابعة، ومرباط بساحل الشحر، وقد خرجت هاتان المدينتان. وكان أحمد بن محمد بن محمود الحميري، ولقبه الباخودة. وكان تاجراً كثير المال، تقرب إلى صاحب مرباط بالتجارة حتى استوزره، ثم هلك، فملك أحمد الباخوذة. ثم خربها وخرب ظفار سنة تسع عشرة وستمائة. وبنى على ساحل مدينة ظفار بضم الظاء المعجمة، وسماها الأحدية باسمه، وخرب القديمة لأنها لم يكن لها مرمى.

نجران: قال صاحب الكمائم: هي صقع منفرد عن اليمن وقال غيره: هي من اليمن. قال البيهقي: مسافتها عشرون مرحلة، وهي شرق صنعاء وشماليها،

وتوالى الحجاز. وفيها مدينتان: نجران وجرش: بنيت على هيئة غمدان قاعدة اليمن، وكانت طائفة من العرب تحج إليها، وتنحر عندها. وتسمى الدير، وبها كان قس بن ساعدة يتعبد.

ونزلها القحطانية، طائفة من جرهم. ثم غلبهم عليها بنو حمير، وصاروا ولاة للتبابعة، وكان كل من ملك منهم يلقب «الأفعى». وكان منهم أفعى نجران اسمه القلس بن عمرو بن همدان بن مالك بن منتاب بن زيد بن وائل ابن حمير - كان كاهناً - وهو الذي حكم بين أولاد نزار، لما أتوه حسبما هو مذكور. وكان والياً على نجران لبلقيس، فبعثته إلى سليمان عليه السلام. وآمن وبث دين اليهودية في قومه، وطال عمره. ويقال إن البحرين والمشلل كانتا له.

قال البيهقي: ثم نزل نجران بنو مذحج واستولوا عليها. ومنهم بنو الحرث ابن كعب. وقال غيره: لما خرجت اليمانية في سيل العرب، مروا بنجران فحاربتهم مذحج، ومنها افترقوا. قال ابن حزم. ونزلوا جوار مذحج بالصلح، الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نضر بن الأزدي، ثم غلبوا عليها مذحجاً، وصارت لهم رياستها.

ودخلت النصرانية نجران من فيمون، وخبره معروف في كتب السير وانتهت رياسة بني الحارث فيها إلى الديان، ثم صارت إلى بني عبد المدان. ثم كان يزيد منهم، على عهد النبي ﷺ، وأسلم على يد خالد بن الوليد، وفد مع قومه. ولم يذكره ابن عبد البر، وهو مستدرك عليه. وابن أخيه زياد بن عبد الملك بن عبد المدان، خال السفاح - ولاه نجران واليمامة. وخلفه ابناه محمداً ويحيى.

(١) انظر ترجمته في: الصلة ٦٧٧/٢، العبر ٢٥٥/٣، وفيات الأعيان ٣٤٨/٢، بغية الملتمس ٤٧٤، تذكرة الحفاظ ١١٢٨/٣، جذوة المقتبس ٣٤٤، الديباج المذهب ٣٧٥، الرسالة المستطرفة ١٥، شذرات الذهب ٣١٤/٣.

ودخلت المئة الرابعة، والملك بها لبني أبي الجود بن عبد المدان، واتصل فيهم وكان بينهم وبين الفاطميين حروب، وربما يغلبونهم بعض الأحيان على نجران. وكان آخرهم عبد القيس، الذي أخذ علي بن مهدي الملك من يده. ذكره عمار وأثنى عليه. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

الخبر عن دولة بني الرسي أئمة الزيدية بصعدة وذكر أوليتهم ومصائر أحوالهم

قد ذكرنا فيما تقدم خبر محمد بن إبراهيم، الملقب أبوه طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن المثنى، وظهوره أيام المأمون، وقيام أبي السرايا ببيعته، وشأنه كله. ولما هلك، وهلك أبو السرايا وانقرض أمرهم، طلب المأمون، أخاه القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا ففر إلى السند. ولم يزل به إلى أن هلك سنة خمس وأربعين ومائتين، ورجع ابنه الحسن إلى اليمن، وكان من عقبه الأئمة بصعدة من بلاد اليمن، أقاموا للزيدية بها دولة، اتصلت آخر الأيام.

وصعدة جبل في الشرق من صنعاء، وفيه حصون كثيرة أشهرها صعدة، وحصن ثلا، وجبل قطابة. وتعرف كلها بني الرسي وأول من خرج بها منهم: يحيى بن الحسين القاسم الرسي، دعا إلى نفسه بصعدة وتسمى بالهادي، وبويع بها سنة ثمان وثمانين (ومائتين) في حياة أبيه الحسين. وجمع الجموع من شيعتهم وغيرها، وحارب إبراهيم بن يعفر، ويقال أسعد بن يعفر، الثائر من أعقاب التبابعة بصنعاء وثلا، فغلبه على صنعاء ونجران، وملكها وضرب السكة. ثم انتزعها بنو يعفر منه، ورجع إلى صعدة. وتوفي سنة ثمان ومائتين لعشر سنين من ولايته، هكذا قال ابن المجاور. قال: وله مصنفات في الحلال والحرام. وقال غيره: كان مجتهداً في الأحكام الشرعية، وله في الفقه آراء غريبة،

وتآليف بين الشيعة معروفة.

قال الصولي: وولي بعده ابنه المرتضى، واضطرب الناس عليه وهلك سنة عشرين وثلاث مئة لثنتين وعشرين من ولايته. وولي بعده أخوه الناصر أحمد، واستقام ملكه، واضطرد في بنيه بعده. فولى بعده حسين المنتخب ومات سنة أربع وعشرين. وولي بعده أخوه القاسم المختار، إلى أن قتله أبو القاسم الضحاك الهمداني سنة أربع وأربعين. وقال الصولي: ولي من بني الناصر: الرشيد والمنتخب والمختار والمهدي. وقال ابن حزم لما ذكر ولد أبي القاسم الرسي فقال: ومنهم القائمون بصعدة من أرض اليمن. ولهم يحيى الهادي، له رأي في الفقه، وقد رأيته، ولم يبعد فيه عن الجماعة كل البعد. كان لابنه أحمد الناصر، بنون ولي منهم صعدة بعده، جعفر الرشيد، وبعده أخوه القاسم المختار، ثم الحسن المنتخب ومحمد المهدي. قال: وكان اليماني القائم بماردة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة يذكر عبدالله بن أحمد الناصر، أخو الرشيد والمختار والمنتخب والمهدي.

وقال ابن المجاور: ولم تزل إمامتهم بصعدة مطردة، إلى أن وقع الخلاف بينهم. وجاء السليمانيون من مكة، عندما أخرجهم الهواشم، فغلبوا عليهم بصعدة، وانقرضت دولتهم بها في المئة السادسة. قال ابن سعيد: وكان من بني سليمان حين خرجوا من مكة إلى اليمن أحمد بن حمزة بن سليمان، فاستدعاه أهل زبيد لينصرهم على علي بن مهدي الخارجي، حين حاصرهم، وبها فاتك بن محمد، من بني نجاح، فأجابهم علي أن يقتلوا فاتكاً فقتلوه سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وملكوا عليهم أحمد بن حمزة. فلم يطق مقاومة علي بن مهدي، ففر عن زبيد، وملكها ابن مهدي. قال: وكان عيسى بن حمزة أخو أحمد في عثر من حصون اليمن، ومنهم غانم بن يحيى.

ثم ذهب ملك بني سليمان من جميع التهائم والجبال واليمن على يد بني مهدي، ثم ملكهم بنو أيوب وقهرهم. واستقر ملكهم آخراً في المنصور بن

أحمد بن حمزة. قال ابن العديم: ورث الملك بصعداء عن أبيه، وامتدت يده مع الناصر العباسي، وكان يناظره، ويبعث دعـاءه إلى الديلم وجيلان، حتى خطـب له هنالك، وصار له فيها ولاة، وأنفق الناصر عليه أموالاً في العرب باليمن، ولم يظفر به.

قال ابن الأثير: جمع المنصور عبدالله بن أحمد بن حمزة إمام الزيدية بصعدة سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة، وزحف إلى اليمن فخاف منه المعز بن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، ثم زحف إليه المعز فهزمه، ثم جمع ثانية سنة ثنتي عشرة وست مئة جوعاً من همدان وخولان، وارتجت له اليمن، وخاف المسعود بن الكامل، وهو يومئذ صاحب اليمن ومعه الكرد والترك. وأشار أمير الجيوش عمر بن رسول بمعالجته قبل أن يملك الحصون. ثم اختلف أصحاب المنصور، ولقيه المسعود فهزمه. وتوفي المنصور سنة ثلاثين وستمائة من عمر مديد وترك ابناً اسمه أحمد، ولاه الزيدية، ولم يخطبوا له بالإمامة، ينتظرون علو سنه، واستكمال شروطه. ولما كانت سنه خمس وأربعين بايع قوم من الزيدية بحصن ثلا للموطىء من بني الرسي، وهو أحمد بن الحسين من بني الهادي. لأنهم لما أخرجهم بنو سليمان من كرسي إمامتهم بصعدة، آووا إلى جبال قطابة بشرقي صعدة، فلم يزالوا هنالك. وفي كل عصر منهم إمام شائع بأن الأمر إليهم، إلى أن بايع الزيدية أحمد الموطىء، وكان فقيهاً أديباً عالماً بمذهبهم، قواماً صواماً بويع سنة خمس وأربعين وستمائة.

وأهم نور الدين عمر بن رسوله شأنه، فحاصره بحصن ثلا سنة، وامتنع عليه فأفرج عنه. وعمل العساكر من الحصون المجاورة لحصاره، ثم قتل عمر بن رسول وشغل ابنه المظفر بحصن الدملوة، فتمكن الموطىء وملك عشرين حصناً، وزحف إلى صعدة، فغلب السليمانيين عليها، وقد كانوا بايعوا لأحمد ابن إمامهم عبدالله المنصور، ولقبوه المتوكّل، عندما بويع للموطىء بالإمامة في ثلا، لأنهم كانوا ينظرون استكمال سنه.

فلما بويع الموطىء بايعوه، ولما غلبهم على صعدة، نزل أحمد المتوكل إمامهم. وبايع لهم وأمنه. وذلك سنة تسع وأربعين، ثم حج سنة خمسين. وبقي أمر الزيدية في صعدة في عقب الموطىء هذا. وسمعت بمصر أن الإمام بصعـدة كان قبل الثمانين والسبع مئة -علي بن محمد- من أعقابهم. وتوفي قبل الثمانين. وولي ابنه صلاح، وبايعه الزيدية. وكان بعضهم يقول: ليس هو إمام لعدم توفر شروط الإمامة [فيه]. فيقول هو: أنا لكم ما شئتم، إمام أو سلطان. ثم مات صلاح آخر سنة ثلاث وتسعين، وقام بعده ابنه نجاح، وامتنع الزيدية من بيعته. فقال: أنا محتسب لله، هذا ما بلغنا عنهم بمصر، أيام المقام فيها، والله وارث الأرض وما عليها[1].

(١) هذا آخر ما كتبه ابن خلدون في كتابة العبر في ديوان المبتدأ أو الخبر.

مصادر ومراجع التحقيق

١ - ابن الأثير، علي بن أحمد بن أبي الكرم (ت: ٦٣٠):
الكامل في التاريخ، ١٢ جزء (بولاق ١٢٩٠).

٢ - أحمد بن زيني دحلان (ت: ١٣٠٤):
خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام. مخطوط بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية رقم ٥٨

٣ - إدريس عماد الدين بن الحسن القرشي (ت: ٤٧٢):
عيون الأخبار، ٧ أجزاء في ٧ مجلدات. مخطوط في المكتبة المحمدية الهمدانية. زهر المعاني، مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية.

٤ - أرنولد، توماس و. Arnold, Thomas W.
The Preaching of Islam (London 1935).

٥ - الأزدي، بن ظافر، جمال الدين أبي الحسن علي (ت: ٥٦٠):
أخبار الدول المنقطعة، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ.

٦ - الأصفهاني، أبو عبدالله محمد بن أبي الرجاء (ت: ٥٩٧):
خريدة القصر وجريدة العصر، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم

٤٢٥ آداب.

٧ - بدر الجمال (ت: ٤٨٧):
المجالس المستنصرية.

٨ - البغدادي، أبو منصور عبد القادر بن طاهر (ت: ٤٢٩):
الفرق بين الفرق (القاهرة ١٩١٠).

٩ - الجرافي، القاضي عبدالله بن عبد الكريم:
المقتطف في تاريخ اليمن (القاهرة).

١٠- جلازر، عالم استرالي عمل رحلة إلى اليمن في سنة ١٨٨٥.

١١- الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين يوسف بن يعقوب (ت: ٧٣٢).
السلوك في طبقات العلماء والملوك. مختصر كاي (لندن ١٨٩٢).

١٢- حاجي خليفة، مصطفى كاتب شلبي (١٠٦٧):
كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون (ليبسك ١٨٣٥).

١٣- ابن حزم، أبو محمد علي بن محمد (ت: ٤٥٦):
جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال (القاهرة: ١٩٤٨).

١٤- حسن إبراهيم حسن: الدكتور:
تاريخ الإسلام السياسي الجزء الأول (القاهرة ١٩٤٩).
عبيدالله المهدي إمام الشيعة الاسماعيلية (القاهرة ١٩٤٧).

١٥- حسن سليمان محمود: الدكتور:
الصليحيون وعلاقاتهم بالفاطميين (رسالة دكتوراه ١٩٥٢).
الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (القاهرة ١٩٥٥).
الملكة أروى سيدة ملوك اليمن (القاهرة ١٩٥٦).

١٦- حسن السندوبي:
شرح ديوان امرىء القيس (القاهرة ١٩٥٣).

١٧- الحسن بن نوح البهروجي (ت: ٩٣٩).
كتاب الأزها. مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية.

١٨- الحمادي، محمد بن مالك بن الفضائل اليماني (أواسط القرن الخامس):
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة (القاهرة ١٩٣٩).

١٩- الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت: ٨١٢):
تاريخ الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من أهل الإسلام، مخطوط بمكتبة جامعة ليدن.

٢٠- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (القاهرة ١٩١١):

٢١- الخطاب بن الحسن الحجوري (ت: ٥٣٣):
ديوان الخطاب. مخطوط بالمكتبة المحمدية.

٢٢- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨):
العبر وديوان المبتدأ والخبر (القاهرة ١١٨٤ هـ).
العبر مختصر (كاي)، (لندن ١٨٩٢).

٢٣- ابن الديبع، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني (ت: ٩٤٤):
قرة العيون في أخبار اليمن الميمون مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٢٤ تاريخ بغية المستفيد في أخبار زبيد مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٤٥١٦ تاريخ.

٢٤- دي خوية De Goeje
Memoires Sur Les Carmates du Bahrain
et les Fatinites (ليدن ١٨٨٦)

٢٥- الرازي، أحمد بن حمدان الليثي الورسناني (ت: ٣٢٣ هـ.):
كتاب الزينة في الأحرف ومعانيها. مخطوط مصور بدار الكتب المصرية.
زامباور المستشرق:
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في تاريخ الإسلام، إخراج الدكتور زكي محمد حسن وزملائه (القاهرة ١٩٥١).

٢٧- زبارة، محمد بن محمد بن يحيي الحسني الصنعاني:
إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجاهدين، ومن قام باليمن الميمون من قراء الكتاب المبين وأبناء سيد الأنبياء والمرسلين (صنعاء ١٣٤٣).

٢٨- الزبيدي، سيد مرتضى:
تاج العروس في شرح القاموس (بولاق ١٢٥٨).

٢٩- سبط ابن الجوزي، شمس الدين بن المظفر بن فيزوغلي (ت: ٦٥٤).
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٥٥١ تاريخ.

٣٠- سرور، محمد جمال الدين: الدكتور:
النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب (القاهرة ١٩٥٠).

٣١- ابن سعد، علي بن موسى المغربي (ت: ٦٧٣):
كتاب المغرب في حلى المغرب (ليدن ١٨٩٨ - ١٨٩٩).

٣٢- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١):
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (القاهرة ١٣٢٧).

٣٣- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠).
تاريخ الأمم الملوك، تحقيق دي خوية (ليدن ١٨٧٦ - ١٩٠١).

٣٤- طه أحمد شرف: الدكتور:
دولة النزارية أجداد آغا خان (القاهرة ١٩٥٠).

٣٥ـ عبد العال الصعيدي:
مختارات الشعر الجاهلي (القاهرة ١٩٥٠).

٣٦ـ العرشي، حسين بن أحمد الزيدي (القرن الرابع):
بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام، تحقيق الأب أنستاس الكرملي (القاهرة ١٩٣٩).

٣٧ـ علي إبراهيم حسن: الدكتور:
تاريخ مصر في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٤٧).

٣٨ـ عمارة، أبو الحسن نجم الدين الحكمي (ت: ٥٦٩):
النكت العطرية في أخبار الوزراء المصرية

Hartwig Derenboury.

٣٩ـ عمر رضا كحالة:
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ثلاث أجزاء في ثلاث مجلدات (دمشق ١٩٤٩).

٤٠ـ العمري، شهاب الدين بن أحمد بن فضل الله (ت: ٧٤٩):
مالك الأبصار في ممالك الأمصار، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٦٨.

٤١ـ العيني، بدر الدين بن محمود بن أحمد بن موسى (ت: ٨٥٥):
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤.

٤٢ـ الفاسي، تقي الدين بن محمد بن أحمد بن علي (ت: ٨٣٢):
تحفة الكرام في أخبار البلد الحرام، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٦٤٦ تاريخ.
شفاء الغرام. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٤

٤٣- أبو الفداء، إسماعيل بن علي عماد الدين (ت: ٧٣٢):
المختصر في أخبار البشر (القسطنطينية ١٢٨٦ هـ.).

٤٤- القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت: ٨٢١):
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (القاهرة ١٩١٢ - ١٩١٧).

٤٥- القمي، الحسين بن علي (القرن السادس):
رسائل القمي. مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية.

٤٦- لويس معلوف اليسوعي:
المنجد في اللغة والأدب والعلوم (بيروت).

٤٧- المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي (ت: ٤٧٢):
سيرة المؤيد في الدين. مخطوط بالمكتبة المحمدية، نشره الدكتور محمد كامل حسين (القاهرة ١٩٤٩).

٤٨- ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب الدمشقي (ت: ٦٩٠):
تاريخ ابن المجاور. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١٧٧ تاريخ.

٤٩- أبو الحسن، جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي (ت: ٨٧٤):
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة ١٩٣٥).

٥٠- المتنبي، أبو الطيب (ت: ٣٥٤):
ديوان المتنبي، النسخة التي أخرجتها لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٤.

٥١- بامخرمة، أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد (القرن العاشر):
قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧ تاريخ ثغر عدن، جزءان (ليدن ١٩٣١).

٥٢- مظفر الدين نادي:

التاريخ الجغرافي للقرآن، ترجمة الدكتور عبد الشافي غنيم (القاهرة ١٩٥٦).

٥٣- المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت: ٦٨٧).
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن ١٩٠٦).

٥٤- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت: ٨٤٥):
المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (بولاق ١٢٧٠ هـ).
اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا (القدس ١٩٠٨).

٥٥- المنصوري، ركن الدين بيبرس المنصوري الداودار (ت: ٧٢٥ هـ):
زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة. مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة.

٥٦- ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت: ٦٧٧):
تاريخ مصر، طبعه هنري ماسيه (القاهرة ١٩١٩).

٥٧- نشوان الحميري، أبو سعيد بن سعيد (ت: ٥٣٧):
الحور العين. (القاهرة ١٩٤٨).

٥٨- النعمان، القاضي بن محمد بن منصور التميمي المغزي (ت: ٣٦٣):
افتتاح الدعوة الزهراء وابتداء الدولة. مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية.

٥٩- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣):
نهاية الأدب. مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٧٠.

٦٠- الهمداني، أبو الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت: ٣٣٤):
صفة جزيرة العرب تحقيق مولر (ليدن ١٨٩١).

٦١- الهمداني: حسين بن فيض الله اليعبري: الدكتور:
الصليحيون والحركة الفاطمية باليمن بالاشتراك (القاهرة ١٩٥٥).
مقال عن السجلات المستنصرية في .B.S.O.S سنة ١٩٣٤، ونشر هذه

السجلات الدكتور محمد عبد المنعم ماجد (القاهرة ١٩٥٤).

Wustenfeld F. Von:

Genealogische Tabellender Arabischen Stamme Und Familien (Cottingen 18).

٦٣- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله (ت: ٦٢٦):
معجم البلدان (مطبعة السعادة سنة ١٩٠٦).

٦٤- يحي بن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد (ت: ١١٠):
أنباء الزمن في أخبار اليمن مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧.
أنباء الزمن من (٢٨٠/ ٣٢٠ هـ) تحقيق الدكتور محمد عبدالله ماضي (برلين سنة ١٩٣٦).

الفهرس

الصفحة

١ - تاريخ اليمن لابن عمارة

٢ ـ تاريخ اليمن لابن خلدون